وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

الأمثال في صحيح البخاري
دراسة تداولية للأفعال الكلامية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية
تخصص: علوم اللسان العربي

إعداد الطالبة:
وهيبة غضابي.

إشراف الأستاذ الدكتور:
عمار شلواي.

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرّتبة العلمية	الجامعة	الصفة
محمد خان	أستاذ	بسكرة	رئيسا
عمار شلواي	أستاذ	بسكرة	مشرفا ومقررا
عمار ربيح	أستاذ محاضر –أ–	بسكرة	عضوا مناقشا
لخضر بلخير	أستاذ محاضر –أ–	باتنة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1434/1433هـ-2013/2012م

الحمد لله الكريم ، الرحمان الرحيم ، الذي علم بالقرآن وخلق الإنسان علمه البيان، وخص سيد الرسل بكمال الفصاحة بين البدو والحضر، وأنطقه بجوامع الكلم، فأعجز بلغاء ربيعة ومضر، المفحم بتحديه مصاقع بلغاء الأعراب، وآتاه بحكمته أسرار البلاغة وفصل الخطاب، ومنحه الأسلوب الحكيم في جوامع الكلم، وخص السعادة الأبدية لمقتضى آثاره، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش".

وأصلي وأسلم على النبي العدنان، حامل لواء الفصاحة والبيان، صاحب المقام المحمود بأشرف مكان، المرسل بالرحمة والهداية إلى الإنس والجان، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

إن الله تعالى قد خصنا بأرفع العلوم وأنفعها والتي من بينها العلوم البلاغية والعلوم اللسانية واللغوية؛ وقد عد علم البلاغة مرتقى علوم اللغة وأجلها وأشرفها، فالكلام يبدأ بلفظة تدل على معنى محدد ثم يتدرج ليصل إلى الكلمة الفصيحة واللغة البليغة، فالبلاغة هي محتوى الفكر كله، والدراسات البلاغية للقرآن الكريم ودلائل إعجازه وبلاغته التي فاقت بلاغة بني البشر فقد نزل تحديا للعرب وفصاحتهم.

أما الدراسات اللغوية واللسانية فقد كانت كسابقتها من العلوم مرت على عدة مراحل لتصل إلى الاهتمام بعناصر العملية التواصلية والعلاقة التي تربط النشاط اللغوي بمستعمليه وهذا ما تجلى في التيار التداولي، والذي يهتم بكيفية استخدام العلامات اللغوية بنجاح وعلاقتها بالمحيط والسياقات المختلفة، وكذلك البحث عن العوامل التي تجعل الخطاب عملية تواصلية ناجحة ومن ثمة الكشف عن أسباب الفشل في القيام بهذه العملية التواصلية.

وقد عدت التداولية علما له مبادؤه، واتجاهاته، ويعتمد على آليات يقوم عليها (من الاستلزام الحواري، والافتراض المسبق، والقصدية، والأفعال الكلامية) وهذه الأخيرة تشكل النواة المركزية للنظرية، لهذا أثرنا أن تكون "الأفعال الكلامية" هي الجانب التطبيقي في البحث، وقد وقع اختيارنا لبعض الأحاديث النبوية الشريفة المشتملة للأمثال والتشبيهات لتكون محط دراستنا ومناط هذا التطبيق، ولتتبع الأغراض

التواصلية التي تهدف إلى التأثير في المتلقي,فهي تدفعه إلى فعل أو إلى إعراض ، مع العلم أن أغلب الدراسات السابقة للأحاديث النبوية كانت مقتصرة على المجال التربوي و الإرشادي.

جاء الرسول (ص) ليبلغ كلام الله وأحكام الدين المتمثلة في القرآن والسنة المتضمنة في الأحاديث القدسية والنبوية فهي شارحة لمقاصد القرآن، ومفصلة لمجمله، ومخصصة لعمومه، ومقيدة لمطلقه، ودليل على منسوخه وهذه حكمة مرادها أن يكون النبي مبينا عن ربه شارحا لكتابه، وشاء الله أن يحفظ لهذه الأمة دينها فقيض للسنة رجالا من خيرة المسلمين للحفاظ والاهتمام بأحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من بينهم الإمام أبو إسماعيل البخاري.

ونظرا لما للرسول (ص) من بلاغة في تبليغه للرسالة، ولما للتداولية من اهتمام بالسياق وبعلاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، ارتأينا أن يكون عنوان بحثنا هذا موسوما بـــ: الأمثال في صحيح البخاري، دراسة تداولية لأفعال الكلام.

وانطلقنا لدراسة موضوعنا هذا من تساؤلات لابد من الإجابة عليها: ما طبيعة التداولية؟ وكيف نشأت؟ ومن أين استقت مواضيعها؟ وهل كان لها أثر في التراث العربي؟ وما هي الآليات التي قامت عليها؟ وعلى اعتبار أن أفعال الكلام هي النواة المركزية لهذه النظرية فإلى أي مدى يمكن تطبيقها كآلية على نص الحديث النبوي الشريف وبخاصة الأمثال منها؟

أسئلة كثيرة كانت الدافع لانجاز هذه الدراسة أو البحث، وللإجابة على هذه الأسئلة وأخرى تتبعنا خطة قسمنا فيها عملنا إلى تمهيد وفصلين وتصدر كل ما سبق مقدمة. وقد تطرقنا في التمهيد إلى مفهوم الحديث النبوي الشريف وأشرنا إلى بعض المدونات في هذا المجال وبعض الشروحات، وفي آخره عرفنا بالإمام البخاري وذكرنا بعض آراء العلماء فيه، وقد تلا هذا التمهيد والمقدمة فصلان.

عنوان الفصل الأول: التداولية والأمثال (مفاهيم وأصول).

حيث تضمن: إرهاصات التداولية عند علماء الغرب، من أمثال أوستين وسيرل وعند علماء العرب من أمثال الجاحظ، ابن سنان الخفاجي، وابن هلال العسكري

والسكاكي وغيرهم كثر، ثم تناولنا نظرية أفعال الكلام والتقسيمات التي جاء بها كل من أوستين وسيرل، هذا الأخير كان تقسيمه للفعل الكلامي كما يلي: أفعال إخبارية، أفعال توجيهية، أفعال التزامية، أفعال تعبيرية وأخرى إعلانية، وقد وضع لكل صنف من هذه الأصناف، اتجاه مطابقة وغرضا انجازيا وشرط إخلاص، بعدها تطرقنا إلى الأمثال مفاهيم ومنهجا، متبعين بذلك بلاغة الرسول في استعمال هذه التقنية في الأحاديث النبوية.

وقد واكب هذا الفصل فصل ثان وسمناه بـــ تداولية أفعال الكلام في أمثال صحيح البخاري.

فقمما بدراسة هذه الأحاديث النبوية التي تضمنت التمثيل أو التشبيه مسلطين الضوء حول أفعالها الكلامية والتي حاولنا تقسيمها حسب أو وفق تصنيف سيرل الخماسي للفعل الكلامي: إخباريات، توجيهيات، التزاميات، تعبيريات، إعلانيات.

وجاءت خاتمة البحث نتائج وخلاصة شاملة للموضوع والذي انتهجنا في نسج خيوطه الوصف والتحليل.

أما مصادر البحث ومراجعه فقد لجأنا إلى القرآن الكريم واعتمدنا صحيح البخاري، مدونة أساسية للإمام أبي إسماعيل البخاري.

أما بقية المراجع فقد كانت منوعة بين كتب الحديث والبلاغة واللسانيات، والنحو كذلك، فقد اعتمدنا على سبيل الذكر لا الحصر: "تاريخ بغداد" لـــ: "أبو بكر الخطيب البغدادي"، "فتح الباري وإرشاد الساري" لـــ: "أبو حجر العسقلاني"، "أساس البلاغة" لـــ: "جار الله بن أحمد الزمخشري"، "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها" لـــ: "محمد العمري"، "بلاغة الخطاب وعلم النص" لـــ: "صلاح فضل"، "مجمع الأمثال" لـــ: "أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني"، "مبادئ اللسانيات" لـــ: "خولة طالب الإبراهيمي"، "المقاربة التداولية" لـــ: "فرانسواز أرمينكو"، "التداولية اليوم علم جديد في التواصل" لـــ: "آن روبول جاك موشلار"، "الأفعال المتضمنة في القول" لـــ: "مسعود صحراوي"، "اللسان والميزان" لـــ: "طه عبد الرحمان"، "حروف المعاني المركبة" لـــ: "فائزة بنت عمر المؤيد"، "موسوعة معاني الحروف العربية" لـــ: "علي جاسم سليمان".

كما قد استفدنا من بعض الرسائل الجامعية التي سبقت بحثنا هذا مثل: "الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية" لـــ: حورية رزقي،و"الإفادات والمقاصد التبليغية في النحو العربي لـــ: دلال وشن.

مع العلم أن أي بحث لا يخلو من صعوبات تعترض مسيرته، ولعل من أبرزها صعوبة النظرية "نظرية أفعال الكلام" وقلة المراجع المطبقة لها.

ومع هذا فقد أتممنا بحثنا هذا ولله الحمد والشكر مع أنه مازال البحث في هذا المجال جاريا ولا يسعنا في ختام هذا البحث إلا أن نرفع تقديرنا واحترامنا البالغ إلى الأساتذة الكرام وبخاصة أستاذي الفاضل "عمار شلواي"فله مني كل الامتنان والشكر على دعمه مسيرة البحث بالإرشاد والتوجيه.

فما توفيقنا إلا بالله عليه نتوكل وإليه ننيب، والله وراء القصد "من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد ولم يصب فله أجر واحد".

تمهيد

حظي الحديث النبوي الشريف باهتمام العلماء المسلمين منذ العصور الأولى، فالأمة الإسلامية لم تهتم بشيء بعد اهتمامها بكتاب الله عزّ وجلّ قدر اهتمامها بحديث الرسول الكريم صلى الله علبه وسلم وسعيها في ذلك السعي العجيب الفذ.

وانطلاقا من كون السنة النبوية الركن الثاني لهذا الدين العظيم، وما لذلك من آثار وخلفيات، فإن علماء المسلمين منذ السنوات الأولى لفجر الإسلام وعلى مرّ العصور واختلاف الدهور، عرفوا مكانتها وعظم شأنها حق المعرفة فرحلوا من أجلها، وحفظوها، واستنبطوا منها الأحكام الكثيرة في جميع أمور دينهم ودنياهم، وعظموها أيما تعظيم. فأظهروا الولاء لأهلها، وأعلنوا الحرب على أعدائها، ووقفوا عند حدودها، وصدقوا بأخبارها، وآمنوا بمعانيها، واستدلوا بها، وتلقوا منها، ثم نقلوها إلى الأجيال صافية نقية كما وردّوا عليها، فسارت على ذلك أجيال وقوافل كثيرة لا يحصيها إلا الله.

ثم جاء جيل تدوين السنة وكتابتها في دواوين الإسلام، فأعطوا السنة ما تستحقه من التعظيم والإجلال، والحفظ والصيانة واعتنوا بها عناية فاقت كل عناية. فألفوا الدواوين كالصحاح والسنن والمعاجم والمسانيد والأجزاء واعتنوا بالحديث سندا ومتنا. ثم توالت المصنفات بالظهور تبعا من النصف الثاني القرن الهجري الثاني حتى كان القرن الهجري الثالث. وهو عصر الازدهار في مؤلفات الحديث وكان أبرزها الكتب الستة وهي:

* الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ).
* الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (261هـ).
* السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث السجشالي (275هـ).
* السنن لأبي عيسى بن سورة الترمذي (ت 279هـ).

* السنن لابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 275هـــ).

*سنن أبي عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي(303ه).

ويعتبر الكتابان الأولان "الجامع الصحيح" لأبي عبد الله البخاري و "الجامع الصحيح" لمسلم أصح كتابين بعد القرآن الكريم لأن مؤلفيهما اشترطا لإخراج الأحاديث فيهما شروطا خاصة لم تتوفر في غيرهما من المؤلفات. ويعد الإمام البخاري مقدّما على الإمام مسلم في قوة هذه الشروط.

فهو الإمام الجليل والمحدث العظيم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي أمير أهل الحديث وصاحب أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، ولد سنة 194هـــ بخرتنك قرية قرب بخارى، وتوفي فيها سنة 256هـــ [1].

فهو حافظ الإسلام وإمام أئمة الأعلام، توجه إلى طلب العلم منذ نعومة أظافره، وبدت عليه علامات الذكاء والبراعة منذ حداثته، فقد حفظ القرآن منذ صباه ثم استوفى حفظ حديث شيوخه البخاريين ونظر في الرأي وقرأ كتب ابن المبارك حين استكمل سن 16سنة.

رحل في طلب الحديث إلى جميع محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والعراق، والحجاز والشام، ومصر وغيرها، وسمع من العلماء والمحدثين، وأكبّ عليه الناس وتزاحموا عليه ولم تنبت لحيته بعد [2].

وقد كان غزير العلم، واسع الإطلاع وأخرج جامعه الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث، كان يحفظها، ولشدة تحريه لم يكن يضع فيه حديثا إلا بعد أن يصلّي ركعتين ويستخير الله، وقد قصد فيه إلى جمع أحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلم

([1])الخطيب البغدادي أحمد بن علي أبو بكر: تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، (د، ت)، ص6.

([2])البخاري أبو عبد الله محمد إسماعيل: صحيح البخاري، دار الهدى، الجزائر، 1992م. "مقدمته".

الصحاح المستفيضة المتصلة دون الأحاديث الضعيفة، ولم يقتصر في جمعه على موضوعات معينة، بل جمع الأحاديث في جميع الأبواب واستنبط منها الفقه والسيرة، وقد نال من الشهرة والقبول درجة لا يُرام فوقها.

كما وقد استحسن شيوخ الإمام الجليل أبي عبد الله وأقرانه من المحدثين كتابه، بعد أن عرضه عليهم، وكان منهم جهابذة الحديث من قبيل الإمام أحمد بن حنبل وعلي بن مدني ويحي بن معين.

فشهدوا له بصحة ما في الجامع الصحيح من أحاديث، ثم تلقته الأمة بعدهم بالقبول باعتباره أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل وقد ورد على لسان شيخه محمد بن بشار الحافظ قوله أن حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعه بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى [1]، أما عن سبب تأليف الجامع الصحيح: فقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه الموسوم بـــ "فتح الباري" أسبابا ثلاثة دعت الإمام أبا عبد الله البخاري رحمه الله تعالى إلى كتابه الجامع الصحيح.

أولها: أنه وجد الكتب التي ألفت قبله بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف، فحّرك هذا همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب في صحته أمين.

أما عن ثانيها: فقد قوِّى عزمه على جمع الأحاديث الصحيحة ما سمعه من أستاذه في الحديث والفقه وأمير المؤمنين إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه وساق بسنده إليه.

([1])النووي يحي بن شرف: المنهاج في شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، "مقدمة".

فقال البخاري: "كنّا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابا مختصرًا لصحيح سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. قال أبو عبد الله: فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الصحيح.

وثالثها: ما روي بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان بن فارس قال سمعت البخاري يقول:"رأيت النبي صلّى الله عليه وسلم وكأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذّب بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقيل لي أنت تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح [1].

فهذا كلّه يدل على همة هذا الإمام الجليل حيث أخذت هذه الأسباب منه مأخذها وبعثته للعمل على تأليف كتابه.

وقد سمّاه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه هذا ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه فتح الباري [2].

كما ورد في كتاب علوم الحديث لأبن الصلاح [3]. أنه سماه: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه.

والجامع الصحيح كما هو معلوم يشتمل على الأحاديث الصحيحة التي هي موضوع الكتاب كما يشتمل على ما في تراجم أبوابه من التعليقات والاستنباط وقد ذكر أيضا أقوال السلف وغير ذلك مما ليس داخلا في موضوع كتابه.

وبذلك جمع الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الجامع الصحيح بين الرواية والدراية، بين حفظ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهمها.

([1])العسقلاني أبي الفضل شهاب الدين احمد ابن حجر: مقدمة فتح الباري، جامعة الملك سعود،ج2، 1957م، ص84.

([2]) نفس المرجع، ص84.

([3]) عمرو بن الصلاح: علوم الحديث، دار الكتب العلمية، ط1، 2002م، ص8.

ولمّا أخرج كتابه أو مصنفه للناس وأخذ يُحَدّث به، طار في الآفاق أمره فهرع إليه الناس من كل فجّ يتلقونه عنه حتى بلغ من أخذه 100 ألف وانتشرت نسخه في الأمصار وعكف الناس عليه حِفظا ودراسة، شرحًا وتلخيصًا وكان فرح أهل العلم به عظيمًا. فقد قصد البخاري في صحيحه إلى إبراز فقه الحديث الصحيح واستنباط الفوائد وجعل الفوائد المستنبطة تراجم للكتاب، ولذلك فإنه يذكر متن الحديث بغير إسناد وقد يحذف من أول الإسناد واحد فأكثر، وقد يكرر الحديث في مواضع كثيرة من كتابه، يشير في كل منها إلى فائدة مستنبطة من الحديث.

والسبب في ذلك أن الحديث الواحد قد يكون فيه من العلم والفقه ما يوجب وضعه في أكثر من باب ولكنه غالبا ما يذكر في كل باب الحديث بإسناد غير إسناده في الأبواب السابقة أو اللاحقة. لقد تعرض الإمام أبو عبد الله البخاري للامتحان والابتلاء، وكثيرا ما تعرض العلماء الصادقون للمحن فصبروا على ما أوذوا في سبيل الله، ولقد حسد البعض الإمام البخاري لِما له من مكانة عند العلماء وطلاب العلم وجماهير المسلمين في كل البلاد الإسلامية، فأثاروا حوله الشائعات بأنه يقول بخلق القرآن ولذلك قصة يرويها أبو أمحمد بن عدي [1] فيقول: ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل البخاري لما ورد نيسابور اجتمع الناس عليه فحسده بعض من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور لما رأوا إقبال الناس إليه واجتماعهم عليه، فقال أصحاب الحديث إن محمد بن إسماعيل يقول اللفظ بالقرآن مخلوق فامتحنوه في المجلس فلمّا حضر الناس مجلس الإمام البخاري قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أم غير مخلوق فأعرض عنه البخاري ولم يجبه، فقال الرجل يا أبا عبد الله فأعاد عليه القول فأعرض عنه، ثم قال في الثالثة فالتفت إليه الإمام أبو عبد الله البخاري وقال القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة

(1)بن الصلاح عمرو: علوم الحديث، ص8.

والامتحان بدعة، فشغب الرجل وشغب الناس وتفرقوا عنه وقعد الإمام البخاري في منزله.

وقالوا له بعد ذلك تراجع عن هذا القول حتى نعود إليك. فقال: لا أفعل إلا أن تجيئوا بحجة فيما تقولون من حجتي وبقي هؤلاء الحاسدون يرددون القول فقال الإمام أبو عبد الله مقولته المشهورة "القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر".

وقال من زعم من أهل نيسابور وقومس، والري وهمذان، وحلوان وبغداد، الكوفة والبصرة، ومكة والمدينة أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذلك فاني لم اقله إلا أني قلت أفعال العباد مخلوقة.

وقال أحمد بن سلمه: دخلت على البخاري فقلت يا أبا عبد الله هذا رجل مقبول بخرسان خصوصا في هذه المدينة وقد لجّ في هذا الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلّمه فيما يرى. فقبض الإمام على لحيته ثم قال: ﴿وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد﴾ [1].

ثم أردف ذلك بقوله اللهم إنك تعلم أني لم أرد المقام بنيسابور شرا ولا بطرًا ولا طلبًا للرئاسة. إنما أبت علّي نفسي في الرجوع إلى وطني لغلبة المخالفين وقد قصدني هذا الرجل حسدا لما آتاني الله لا غير.

ثم قال: يا أحمد إنّي خارج غدًا لتتخلصوا من حديثه لأجلي، فأخبر جماعة من أصحابه وخرجوا معه إلى باب البلد وبقي هناك ثلاثة أيام لإصلاح أمره.

أمّا لما قدم الإمام أبو عبد الله البخاري بخارى فقد نصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق أحد إلا استقبله ونثر عليه الدنانير والدراهم والسكر الكثير فبقي أيامًا بها. بعد ذلك كتب محمد بن يحي الذهلي إلى خالد

([1]) سورة غافر: الآية 44.

بن أحمد أمير بخارى أن هذا الرجل قد أظهر خلاف السنة فقرأ كتابه على أهل بخارى فقالوا لا نفارقه فأمره الأمير بالخروج من البلد فخرج.

وقد قال أحمد بن منصور فحكى لي بعض أصحابنا عن إبراهيم بن معتقل النسفي قال رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في اليوم الذي أخرج فيه من بخارى فتقدمت إليه فقلت يا أبا عبد الله كيف ترى هذا اليوم من اليوم الذي نثر عليك فيه فقال: لا أبالي إذ سلم ديني.

وقد روي عن بكر بن منير بن خليد بن عسكر أنه قال: بعث الأمير خالد ابن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل البخاري أن احمل إلي كتاب الجامع الصحيح والتاريخ وغيرهما لأسمع منك فقال لرسوله أنالا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فأحضر في مسجدي أو في داري وإن لم يعجبك هذا فإنك سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة لأني لا أكتم العلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار".

فكان سبب الوحشة بينهما هذا، وقد كانت هذه ثاني محنة تصيب الإمام أبا عبد الله البخاري.

وتوفي الإمام أبو عبد الله البخاري سنة 256هـ [1]، ليلة عيد الفطر وقد بلغ 62 سنة وقد روي في قصة وفاته عدة روايات منها؛

أن محمد بن أبي حاتم قال سمعت أبا منصور غالب جبريل وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله يقول: إنه أقام عندنا أياما فمرض واشتد به المرض، فلمّا وافى تهيأ للركوب فلبس خفيه وتعمم فلمّا مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا آخذ بعضده

(1)الخطيب أحمد بن علي: تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، (د، ت)، ص6.

ورجل آخذ معي يقوده إلى الدابة ليركبها فقال رحمه الله أرسلوني فقد ضعفت فدعا بدعوات ثم اضطجع فقض رحمه الله فسال منه العرق شيء لا يوصف فأوصى أن كفنوني في ثلاث أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة.

فلمّا دفن فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك فدام ذلك أيامًا. ثم علت سواري بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره.

أما التراب فكان الناس يرفعونه عن القبر حتى ظهر، بعدها خرج بعض مخالفيه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة ممّا كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب.

كما قد ورد عن محمد بن محمد بن مكي الجرجاني أنه قال سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي يقول رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع فسلمت عليه، ورد علي السلام فقلت ما وقوفك يا رسول الله قال:" أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري".

فلمّا كان بعد أيام بلغني موته. وفي الساعة التي رأيت النبي صلّى الله عليه وسلم فرحم الله الإمام البخاري رحمة واسعة وجزاه الله خيرًا عن الإسلام والمسلمين وعن حديث الرسول مع العلم أنّه قد بلغت أحاديث البخاري بالمكرر سوى المعلقات والتابعات (7593) حديثا حسب ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي لأحاديث البخاري ويرى الحافظ لابن حجر العسقلاني أنّ أحاديث البخاري (7367) حديثا وفي البخاري أحاديث معلقة وجملتها (1341) وعدد أحاديث البخاري المتصلة من غير المكررات قرابة أربعة آلاف حديث [1].

([1]) العسقلاني ابن حجر: مقدمة فتح الباري، ج2، ص72.

فقد اعتنى العلماء والمؤلفون به، شرحًا له واستنباطا للأحكام منه وتكلمًا على رجاله وتعاليقه وشرحًا لِغريبهِ، وبياناً لمشكلات إعرابه إلى غير ذلك، وقد تكاثرت شروحه حتى بلغ عددها وعدد التعليقات عليه أكثر من 130 شرحًا وأشهرها:

* عمدة القاري في شرح البخاري للعلامة بدر الدين الحنفي (ت:855هـــ).

* إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري لـــ شهاب الدين الشافعي (ت:923هـــ).

* الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لشمس الدين الكرماني (ت:786هـــ).

* شرح الإمام ناصر الدين الإسكندراني.

* شرح صحيح البخاري لأبي الحسن المالكي (ت:449هـــ).

* التوشيح شرح صحيح البخاري للإمام جلال الدين السيوطي (ت:911هـــ).

* التلويح في شرح الجامع الصحيح للحافظ علاء الدين الحنفي (ت:762هـــ).

وقد أحصاها محمد بن أحمد الذهبي الكامل منها أو الناقص ب59 شرحًا والمطبوعة منها 11 وأما التعليقات على البخاري فقد بلغت 28 تعليقًا وكتب خمسة عشر عالمًا خلاصة للصحيح كل حسب مذاقه في حين كتب ستة عشر عالمًا مقدمة له.

إضافة إلى هذه الشروح وأخرى فقد أثنى عليه العلماء وتلقوه وصحيحه بالقبول فقد قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة فتح الباري: وقد رأيت الإمام أبا عبد الله البخاري في جامعه الصحيح قد تصدى للاقتباس من أنوارها البهية [1]. يعني الكتاب والسنة) تقريرا واستنباطا وكرع من مناهلها الروية انتزاعًا ورزق بحسن نية السعادة فيما جمع حتى أذعن له المخالف والموافق وتلقى كلامه في الصحيح بالتسليم المطاوع والمفارق.

([1]) العسقلاني ابن حجر: مقدمة فتح الباري، ج1، ص29.

كما ورد على لسان الحافظ ابن الكثير في البداية والنهاية أن العلماء قد أجمعوا على قبوله وصحة ما فيه وكذلك سائر أهل الإسلام [1].

وقال ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى أن كتاب الجامع الصحيح أجلّ كتب الإسلام بعد كتاب الله عز وجلّ[2].

أما أبو عمرو بن الصلاح في كتابه "علوم الحديث" فقد ذكر أن أول من صنف في الحديث هما الإمام مسلم والإمام البخاري وأن كتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز ثم أردف هذا وقال أن كتاب البخاري أصح الكتابين وأكثرهما فوائد[3].

وقد كتب كذلك الإمام النووي في مقدمة شرحه لصحيح مسلم أن العلماء اتفقوا رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد الكتاب الصحيحان للبخاري ومسلم وقد تلقتهما الأمة بالقبول وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة[4].

كما قد كان للحافظ علاء الدين مغلواطي في كتابه إكمال تهذيب الكمال أنه الإمام الجليل والحافظ لعلوم الحديث أبو عبد الله الجعفي البخاري صاحب الصحيح إمام هذا الشأن والمقتدى به فيه والمُعَوَل على كتابه بين أهل الإسلام [5].

كل هذه الآراء وغيرها كثير من أقوال وآراء كبار العلماء وأئمة الحديث في صحيح البخاري أمثلة وبيان علو درجته وتلقي الأمة له بالقبول فكان ثناء أئمة الإسلام

([1]) بن كثير عماد الدين: البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، مصرج1، (د، ت)، ص14.

([2]) العسقلاني ابن حجر: فتح الباري وإرشاد الباري، ج1، ص29.

([3]) بن الصلاح عمرو: علوم الحديث، ص7.

([4]) بن الصلاح محي الدين النووي: شرح مقدمة على صحيح مسلم، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعارف، بيروت، ط11، 1426هـ، ص15.

([5]) علاء الدين المغلواطي: إكمال تهذيب الكمال، تحقيق عبد الرحمن عادل وأبو محمد، دار الفاروق الحديثة، ج1، ط1، 2001م، ص516.

وحفاظ الحديث ثناءً عاطرًا ودافعاً لمواصلته الدرب والدفاع عن السنة المطهرة والعطرة مع العلم أن الإمام البخاري لم ينطلق في تصنيفه لجامعه الصحيح من فراغ بل يعتبر حلقة من سلسلة ممتدة إلى المصنفين الأوائل كمالك وابن جريح والأوزاعي وابن المبارك وغيرهم.

إلا أن الإضافة الجديدة التي أضافها الإمام البخاري تتمثل في جعل كتابه جامعًا لأنواع علوم الإسلام من عقيدة وفقه وتفسير ومغازي وسير وزهد ورقاق، وفضائل وآداب، بينما كان من سبقه يركز على علم من العلوم، أما السنن والجوامع والموطآت فكانت تهتم بما يتعلق بالأحكام الفقهية دون غيرها من العلوم وكذلك بالنسبة لكتب السير والمغازي فهي خاصة بهذا الفن ولا تتعرض لغيره، وكتب التفسير كذلك موضوعة لهذا الجانب فقط، أما الأجزاء الحديثية فكل جزء خاص بباب معين من أبواب العلم، بينما نجد الجامع الصحيح قد اشتمل على كل تلك العلوم وهذا السبب في تسميته بالجامع كذلك.

أما من سبق من العلماء فيجمع في كتابه الأخبار ولا يلتزم الصحة، فيذكر الصحيح، الحسن والضعيف وقد يكون فيها الموضوع أحيانا، ولكنّ الإمام أبا عبد الله البخاري اقتصر في جامعه على الصحيح فقط لهذا سمّاه الجامع الصحيح.

كما أن منهم من يجمع الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة، المتصل منها والمنقطع على حّد سواء، لكن الإمام أبا عبد الله خصص كتابه لما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالأسانيد المتصلة، وإن كان يذكر فيه الآثار والموقوفات على سبيل التبع للاستشهاد، وقد حوى أخرى بالاستطراد.

ومنهم من كان يهتم بمزج الحديث بالفقه كما فعل الإمام مالك في موطئه وآخر يذكر آراء العلماء وفقهاء التابعين والأمصار إلا أن البخاري لم يهمل هذه الناحية ولم

يتوسع في ذكر فقه الحديث وإنما سلك طريقة مختصرة وهي أنه يضمن فقه الحديث في الترجمة حتى شاع على ألسنة العلماء أن فقه الإمام أبا عبد البخاري في تراجمه، ويعضد ما يذهب إليه بالآيات والآثار، مع كل هذا التدقيق فقد ترك إنتاجًا علميا غزيرًا يدل على علمه وتمكنه، وقد استفاد ممن قبله كما استفاد منه مَن جاء بعده فاقتدوا به من خلال مصنفاته واحتذوا حذوه، وساروا على طريقته، ولقد حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم أسماء كتبه ومصنفاته مع العلم أنه رغم كل الجهود المبذولة للإبقاء على هذه المصنفات إلا أن الكثير منها فُقد منذ أمدٍ بعيد نذكر ما توفر منها: الأدب المفرد، التاريخ الكبير، التاريخ الأوسط، التاريخ الصغير، خلق أفعال العباد، الجامع الكبير، المسند الكبير، الأشربة، الهبة المبسوطة، المؤتلف والمختلف، العلل، الكنى، الفوائد، قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم، رفع اليدين في الصلاة، القراءة خلف الإمام، بر الوالدين، الضعفاء، الرد على الجهمية، أسامي الصحابة الوحدان.

بالإضافة إلى كل هذه الآراء والأقوال التي أثنت بجهود الإمام أبي عبد الله البخاري، فقد تبارت القرائح والأقلام في إنشاء الشعر ونظمه بشأن الصحيحين ومديحهما.

ومما قيل في الإمام الجليل أبي عبد الله البخاري قصيدة كتبها ابن عامر الجرجاني والتي يقول فيها:

صحيـــح البخاري لو أنصفوه　　لمـــا خط إلا بمـــاء الذهـــب

هو الفرق بين الهدى والعمى　　هـــو الســـر دون العنا والعطب

أسانيـــد مثـــل نجوم السماء　　أمـــام متون كمثـــل الشهـــب

به قام ميزان دين النبي(ص)　　ودان له العجم بعد العـــرب

حجاب من النار لاشك فيـــه　　تميّز بين الرضـــى والغضب

وستر دقيق إلى المصطــفى ونصب مبين لكشف الريــب

فيا عالمًا أجمع العالمــون على فضل رتبته في الريــب

سبقــت الأئمة فيما جمعــت وفزت على رغمهم بالقصــب

نفيت الضعيف مــن الناقلين ومن كــان مُنهمــا بالكــذب

وأبرزت في حسن ترتيبــه وتبــويبــه عجبًــا للعجــب

فأعطاك مولاك ما تشتهيــه وأجزل حظــك فيمــا وهــب [1].

رحم الله الإمام أبو عبد الله البخاري رحمة واسعة، وأجزل له العطاء والمثوبة، فقد كانت سيرته منارا يهتدى بها، وعلمه نبراسا ينير درب من أراد أن يقتدي به ويسير على منواله في تحريه الدقة والأمانة. فقد كان له الفضل والعلم، المعرفة والمكانة، وكان عالما فذا وقد حق له ذاك التقدم في تلك المرتبة وعد من أصحاب الاجتهاد، وإن كان بينه وبين غيره مخالفات أصولية فان هذا لا يخرجه عن المناهج الجادة والمعتبرة.

([1]) العسقلاني ابن حجر: مقدمة فتح الباري وإرشاد الساري، ص88.

الفصل الأول

التداولية والأمثال

(مفاهيم وأصول)

تعد اللغة من الاهتمامات التي عنيت بها الحضارات القديمة , فرقي و ازدهار الفكر الإنساني في هذه المجتمعات يبدو و يظهر من خلال رقي الدراسات اللغوية التي تحرص على تدوين تاريخ الشعوب و تنقله إلى الآخر نقلا آمنا و أمينا'حيث تكون اللغة فيه وفية للمعاني المراد تبليغها و توصيلها' فأول ما بدأ به الإهتمام في البحوث اللسانية الكتابة و الأصوات ، ذلك من خلال تتبع الأمم السالفة بالشرح و التطوير أو برسم الحرف إن كانت المدونة مقدسة ;ليكسب الاهتمام اللغة شرفا و رفعة أخلاقية و اجتماعية بين الأمم و الحضارات.

هذا ما حدث مع الهنود ونصوص الفيدا والسنسكريتية، ومع المسلمين والقرآن الكريم واللغة العربية، أو يكون الاهتمام لأغراض تشريعية كما كان الأمر مع البابليين والكتابة المسمارية، أو لغرض تجاري كما كان مع الفينيقيين والسريانية أو يكون الغرض فلسفيا أو شعائريا كما حدث مع اليونان والإغريق ونصوص فلاسفتهم وإلياذتهم الشهيرة. ومن هنا يتضح لنا أن الحديث عن اللغة بدأ في عصور جذورها في أعماق التاريخ وهذا في شكل تأملات فلسفية دارت حول تساؤلات عن نشأة اللغة أسبقية اللغة أو الفكر وأقسام الكلام... [1]

أما الدراسات اللغوية التي تبنت مناهج علمية فقد ظهرت في العالم الغربي في أواخر القرن 19 نذكر من بينها اللسانيات هذا العلم الذي يهتم باللغات الإنسانية ودراسة خصائصها وتراكيبها ودرجات التشابه والتباين فيما بينها، فتاريخ اللسانيات يعود لبضع آلاف من السنين ويعود الدرس اللساني الأقدم توثيقا للهند، كما سبق القول[2]، حيث لعبت العقيدة الدينية دورا هاما في التأسيس له حوالي 2500ق.م حين لاحظ الكهنة أن اللغة التي يستخدمونها في شعائرهم تختلف عن لغة الفيدا واعتقدوا أن نجاح بعض

([1]) أحمد مختار عمر :البحث اللغوي عند الهنود،htt:// www.neelwafurat.com.

([2]) عادل ثامري: التداولية ظهورا وتطورها، 00: 13 ,15/04/2012 ,www.aljihadiya.asso.dz.

الطقوس يحتاج لاستخدام اللغة القديمة مما يستلزم إعادة إنتاجها، فقام كاهن يدعى "بانيني" قبل ألف سنة من الميلاد بتقنين القواعد النحوية الحاكمة للغة السنسكريتية حتى يمكن استخدامها كلغة طقوس دينية دائمة.

أما الفلاسفة اليونان فبدأ الاهتمام الأوروبي باللسانيات بدءا بمعلمهم الأول أرسطو حين اهتموا بدراية العلاقة بين الأشياء والأفعال وأسمائها للتعرف على القواعد التي تحكم اللغة، وصاغوا مبادئ النحو، واهتموا في القرن الثالث قبل الميلاد بالدرس البلاغي فقسموا مفردات اللغة إلى أسماء متعددة الصيغ، وأفعال تحدث في أزمنة مختلفة ثم حددوا أشكالا للخطاب،أما الرومان فقد التزموا بالقواعد النحوية اليونانية في اللغة اللاتينية إلا أنهم توسعوا في الشروح المميزة للأساليب اللغوية اللاتينية ومجالات استخدامها، وتم تحديد أشكال الخطاب قياسا على بعض النصوص اللغوية كأعمال رجل الدولة والخطيب المعروف "شيشرون" في القرن الأول الميلادي، وبحلول القرن الرابع الميلادي صاغ اللغوي الروماني "آليوس دوناتس" صيغا عامة للنحو اللاتيني، وشرح اللغوي "بريسكيان" هذه القواعد بعد مائتي سنة أي في القرن السادس الميلادي، وبقت على ما هي عليه حتى الآن واستخدمت كمعايير قياسية للغات الأوروبية الأخرى حتى القرن السادس عشر ميلادي تقريبا، وبقيت كتبها مراجع للغات الأوروبية التي ظهرت بعدها، وظلت اللاتينية الأكثر انتشارا حتى شهدت نهاية القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر مع تحول اللغتين الانجليزية والفرنسية إلى لغات عالمية احتلت موقع[1] اللاتينية وساعد على ذلك اختراع الطباعة الذي جعل نصوص هاتين اللغتين المطبوعة متوفرة بشكل كبير، والإنسان ينظر إلى لغته رغبة في استكشاف ما حوله من ظواهر.

([1]) بودرع عبد الرحمان: قضايا البحث التداولي، 30: 13, 15/04/2012, www.lisaniate.net.

قد تعددت البحوث في مجال اللسانيات، وعظمت فوائدها، وتعددت أغراضها ومقاصدها تبعا لتعدد مناهجها، ولم تعد هذه الدراسة حكرا على أحد أي لم تبق في الموطن الذي أنتجها وبلغة فلاسفتها ومفكريها ومنظريها، بل تجاوزت حدوده وهاجرت إلى بيئات أخرى حاملة معها رياح التجديد على المستويين النظري والتطبيقي.

والبيئة العربية هي إحدى المحطات الهامة لهذا العلم الجديد الذي حطّ رحاله بها وراح العلماء يدرسون أسس هذا العلم ومناهجه ترجمة واقتباسًا وتنظيرًا.

وإذا كانت الدراسات المبكرة لهذا العلم أجريت حول النصوص الشعرية والنثرية فان النص القرآني لم يلق حظه في تسليط المناهج اللسانية الحديثة على نصوصه فقضية المعنى وحيثياته أرّقت الفلاسفة واللغويين والقانونيين على حدّ سواء، فتتالت الأطروحات التي حاولت الكشف عنه، وتوارت عليه النظريات الدلالية محاولة رسم منهج الوصول إليه، فعلم الدلالة كان شغله الأول استخراج المعنى الكامن خلف المفردات والتراكيب، ثم طرحت الكثير من النظريات اللسانية منهجها في تفسير النصوص، وبيان معانيها واتضح أنه يدرس ذلك دراسة شكلية صورية بغض النظر عن السياقات التي خلف الكلام لهذا أطلق عليها علم الوضع اللغوي وظهر بالمقابل علم الاستعمال اللغوي الذي يدرس اللغة في حيّز الاستعمال اللغوي متجاوزًا حدود الوضع الأصلي، وان كان ينبني عليه مقاصد المتخاطبين لا يمثلها الوضع اللغوي المجرد فقط ولا يمكن الوصول إليها إلا من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال المتجدد بتجدد مقاصد المتكلمين، ويستند فيه المتخاطبون إلى وضع اللغوي ويتجاوزنه تلبية لمقاصدهم وأغراضهم الدلالية [1].

([1]) محمد محمد يونس: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004م، ص14.

أولا: مفهوم التداولية.

إن التداولية أو pragmatique linguistique من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر، وهي مصطلح عرف مدلولات عديدة تقلب بينها منذ ظهوره لأول مرة، فقد ظهر مصطلح pragmatique انطلاقا من الأصل اليوناني" pragma" الذي يعني العمل ومنه اشتقت الصفة اليونانية pragmatikos التي تحيل على كل ما يتعلق بمعاني العمل[1].

أما المصطلح في أصله العربي فيرجع إلى الجذر اللغوي (دَوَلَ) وله معانٍ مختلفة لكنها لا تخرج عن معاني التحّول والتبّدل، فقد ورد في لسان العرب لابن منظور تداولنا الأمر أخذناه بالدّول وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر... ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أي أخذته هذه مرة وهذه مرّة وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاوناه فعمل هذا مرة وهذا مرة [2].

وجاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري: دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه... وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر. وأديل المشركين على المسلمين يوم أحد... والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم... وتداولوا الشيء بينهم والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينها [3].

([1]) اللغة والأدب: ملتقى علم النص، العدد 17، الجزائر العاصمة، 2006م، ص6.

([2]) ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج11، (د، ت)، ص252، مادة الدول.

([3]) الزمخشري(جار الله بن أحمد): أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1998م.

أما في القاموس المحيط للفيروز أبادي فهي أية من الدول يتداول، تداولا، ويقال تداولنا الأمر أخذناه بالدّول، وقالوا دواليك: أي مداولة على الأمر وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل بيننا بمعنى تعاوناه [1].

فالملاحظ على معاجم العربية أنها لا تكاد تخرج في دلالاتها للجدر "دول" على معاني التحوّل والتبدل والانتقال سواء من مكان إلى أخر أم من حال إلى آخر. مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحوّل والتغير والتبدل والتناقل وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس يداولونها بينهم. لذلك كان مصطلح تداولية أكثر ثبوت بهذه الدلالة من غيرها من المصطلحات الأخرى التي ترجمت لها في العربية مثل التبادلية، الاتصالية. النفعية، الذرائعية السياقية.

اهتم الدارسون بآثار تفاعل اللغة مع الظروف والمقامات في المجتمع، وكيفيات استعمالها داخل النظام الاجتماعي، حيث تدرس اللغة أثناء الاستعمال في المقامات المختلفة وبحسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين.

كما تَعنى بأقطاب العملية التواصلية، فتهتم بالمتكلم ومقاصده بعدّه محركا لعملية التواصل وتراعي حال السامع أثناء الخطاب، كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية، ضمانا لتحقيق التواصل من جهة ولتستغلها في الوصول إلى غرض المتكلم وقصده من كلامه من جهة أخرى.

تندرج هذه القضايا كلّها في إطار تيار من الدراسات والنظريات تسمى عند أهل الاختصاص بالتداولية وقد تعددت تعاريف التداولية نذكر من بينها: هي علم اللغة الذي

([1]) الفيروز آبادي(محمد بن يعقوب) : القاموس المحيط، ضبط يوسف الشيخ البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص900، مادة دول.

يبحث كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسته معنى المتكلم، فهي إذن تبحث في أغوار معاني الكلام والمتكلم ومحاولة اكتشاف الأغراض التي يريدها المرسل من خلال رسالته، فقد تتعدى الدلالة المعنى الحرفي إلى المعنى المستتر مما يجعل من المتكلم كثيرا ما يعني أكثر مما تقوله كلماته.

لهذا أنشأ "غرايس" مبادئ تؤسس لمقاصد المخاطبين والمشاركين في عملية التخاطب، فكلاهما يسعى إلى جعل شبكة الاتصال دائمة ومتواصلة، وفي سيرورة منتظمة ومترابطة.

- تبنى هذه المبادئ على أربعة حكم أساسية هي:

1. **حكمة الكم:** تجعل مساهمتك في الحديث إخبارية بالقدر الذي يقتضيه هدف هذا الحديث لكن لا تجعلها إخبارية أكثر ممّا هو مطلوب.

2. **حكمة الكيف:** أن تقدم مساهمة حقيقية للحديث ولا تجهر بشيء لا يمكنك أن تدّعيه دون دليل كاف.

3. **حكمة العلاقة:** أن تقدم مساهمة دالة لها معنى في الحديث.

4. **حكمة حكم الكلام:** أن يتكلم بوضوح ويتجنب الإبهام وأن تقدم حجتك في شكل منتظم [1].

لهذا وجب على كل المشاركين في الكلام احترام هذه المبادئ الأربعة حتى تكون نتيجة الحديث ذات مقاصد، وذات منفعة، وخادمة لعملية التبليغ، وتكون ذات قوة خطابية تسمح ببناء علاقة متينة للتواصل بين المرسل والمرسل، فالتداولية إذن تعني

([1]) دلاش الجيلالي: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م، ص33.

بالكيفية التي تستعمل بها اللغة عند الحديث، وتهتم بالسياق الكلامي والموقف، وتعنى بالمتكلمين وطرائق حديثهم وبكل ما من شأنه أن يزيد عملية الاتصال وضوحا.

تعنى كذلك بالاستعمال العادي للغة من خلال العناصر الثلاثة للعملية التواصلية من المتكلمين والسياق والاستعمالات العادية للكلام فتهتم بالمتكلم والسامع مشاركًا في فعل الكلام والحدث التواصلي، "وتهتم بظروف الكلام ومقام الحال وكل ما له صلة بالكلام من عوامل خارجية، أو تناسب حال من الأحوال، أو تنافره للحدث الكلامي وتهتم بالسياقات اللغوية للمتكلمين حسب الواقع اللغوي، فتبحث في الكيفية الخطابية، وتستنتج مقاصد المخاطب فهي إذن دراسة اللغة في الاستعمال" [1].

ومن هنا يتضح لنا أن للسياق دوره البارز، فبتغيره يمكن أن يتغير القول والمفهوم ويكون بذلك موافقا للسياق الجديد، فلكل سياق قول، وهذه الأقوال متوقعة على العوامل الخاصة بالمتكلمين والعوامل الخارجية عنهم، والسياق حسب محمود أحمد نحلة: "هو مجموعة شروط إنتاج القول وهي الشروط الخارجة عن القول ذاته، والقول هو وليد قصد معين يستمد وجوده من شخصية المتكلم ومستمعه أو مستمعيه ويحصل ذلك في الوسط واللحظة اللذين يحصل فيهم" [2].

كما أن التداولية تدرس العلاقات التي تنشأ بين اللغة والسياق، والمتكلم والسامع الظروف الزمانية والمكانية، وتراعي بذلك مقاصد المتكلم وظروفه، وكيفية وصول الكلام إلى السامعين وظروفهم المحيطة بهم، فهي كل متداخل كما يرى الجيلالي دلاش

([1])الإبراهيمي خولة طالب ا: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر،، ط1، 2000، ص 185.

([2]) نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2002م، ص14.

"أنها تهتم بدراسة العوامل التي تؤثر في اختيار الشخص للغة وتأثير هذا الاختيار في الآخرين" [1].

فلكل لفظة دلالة خاصة؛ فحينما نستعمل لفظة دون أخرى نحملها دلالة دون غيرها ونعلم أنها قادرة على إيصال مقاصدها التي نريدها إلى مستمعينا، فالاختيار لم يكن بطريقة اعتباطية، لكنّ هناك أسبابا تدفعنا للتلفظ بهذه الجملة بصيغتها دون أن نتلفظ بجملة غيرها.

وقد عرفها كذلك "شارل موريس" وميّز بين ثلاثة اختصاصات تعالج اللغة وهي:

"* **علم التراكيب:** ويعنى بدراسة العلاقات الشكلية بعضها ببعض.

* **علم الدلالة:** ويدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها.

* **التداولية:** تهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها وتدرس كل ما له علاقة باللغة سواء أكان يعني بشكل الخطاب من لغة أو إيماء أم بدلائلها أم بالدلالة وعلاقتها بالأشياء والحسيات الخارجية أم بالعلامات والإشارات، واستنتاجات الكلام أم بالفهم الضمني دون الحديث لتتم عملية التبليغ على أحسن وجه" [2].

أما "فانديك" فقد كان له رأي في تعريفه للتداولية ووصفها بأنها علم يساهم بشكل فعال في التفاعل الاجتماعي والتواصل حيث يقول: "التداولية بوصفها علما يعنى بتحليل الأفعال اللغوية ووظائف تهدف إلى الإسهام في الاتصال والتفاعل الاجتماعي" [3].

([1]) دلاش جيلالي: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص41.

([2]) الإبراهيمي خوله طالب: مبادئ اللسانيات، ص185.

([3]) نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص11.

فقد جعل التداولية علما يبحث في المنطوقات الهادفة إلى إقامة تفاعل اجتماعي، ويبحث عن الوسائل الوسائط والكيفية التي تجعل من ملفوظ ما مساهما فاعلا وفعّالا في حل الشفرات المهمة، وفك الطلاسم، وفتح الجسور بين الباث والمتلقين.

ومنهم من جعل التداولية تتجاوز علم الدلالة إلى كل العلامات اللغوية وغير اللغوية، وكل الإشارات، وكل ما يعنيه القول، وما يمكن أن يحمله بصدقه ومجازه فتتجاوز الدلالة الصريحة إلى ما وراء القول للوصول إلى المعنى، بل تتجاوب مع تفاعل السامع والمتكلم وتواطؤهما لحدوث عملية الاتصال بكل نجاح، لهذا عرّفها البعض على أنها دراسة جوانب السياق التي تشفر شكليا في تراكيب اللغة وهي عندئذ جزء من مقدرة المستعمل [1].

فهي علم يبحث في كل ما من شأنه أن يقرب الفهم والتواصل بين المتكلم والسامع، وفي السياق وفي كل الظروف الاجتماعية، الثقافية والتاريخية، الزمانية والمكانية التي يمكن أن تساعد المستمع وتحرك كفاءته ومقدرته للوصول إلى معاني المتكلم ومقاصده وأغراض كلامه، فالسامع يسعى إلى كسر شفرة المعنى الموجود في ذهن المتكلم وهو في حالة كمون إلى معنى موجود بالقوة، فالكل يتعاون ويتعاضد لإبراز المعنى الكامن في كلام ما من خلال السياقات المتعددة المجالات.

أما" اوستين" فقد كان له رأي كذلك في تحديد مفهوم للتداولية فهي حسب رأيه حقل شامل لمجموعة من العلوم والمعارف، تتضافر كل هذه المعارف لتوصل المعنى فهدفها هو الاتصال والتبليغ وما كل تلك الحقول إلا وسيلة تنجح العملية الاتصالية التواصلية.

([1]) عبد الرحمن طه: تكامل المعارف اللسانية والمنطق، مجلة دراسات سيميائية أدبية، ع2، المغرب، 1988/1987، ص120.

فالتداولية بهذا المفهوم تقودنا إلى المفهوم الذي أشار إليه" محمد صلاح الدين الشريف" والمستوحى من مفهوم "بيرس" المرتكز على المنطق حيث قال: "تقوم البرغماتية على تصنيفها داخل نظام عام وله جذوره في مشروع "بيرس" الهادف إلى وضع علامة دلائلية تكون نظرية منطقية عامة".

فهي حسبه تأخذ مفهوما ينطلق من أنها طريقة في التفكير تبحث عن معنى الإشارات والعلامات وكل روابط الاتصال اللغوية وغير اللغوية، مستندة في ذلك على المنطق وأعمال العقل، وربط الدال بالمدلول، فهي تنقل الواقع، وتكون وسيلة من وسائل الاتصال كما تهدف إلى إرساء قواعد عامة للفعل وعلاقته بالمحيط والواقع، وربطه بالفكر بهدف التواصل والتبليغ ولعل من بين الذين انتهجوا هذا التعريف وتبنوه وتأثروا به الباحث "أمبر تواكيو" الذي ساهم في إثراء نظريات القراءة والأدب من خلال مفهومه للتداولية البيرسية والمرتكزة على القصد والإبلاغ والاتصال، حيث أنه يؤمن بالنص المفتوح، بالنص الذي يحمل دلالات لا متناهية فالنص الخالد عنده "هو النص الذي يحقق أكبر نسبة تواصلية في كل ذلك إلا من خلال استخدام لغة تداولية تسهل الفهم وتقرب مساحة النص من القارئ" [1].

كما وقد وجه اهتمامه للقارئ واستجابته مع النص حتى تكون العملية الاتصالية التواصلية ناجحة، وجعل اللغة جانبا من جوانب التحليل وليست هي الجانب الوحيد، فقد اعتمد على أمور خارجة عن اللغة كالسياق والقارئ والناقل من خلال جوانب متعددة خارجة عن اللغة ذاتها وتجاوز بذلك مقولة دراسة اللغة بذاتها ولأجل ذاتها السوسيرية، وجعل الدراسة قابلة لكل ما من شأنه أن يخدم العملية التواصلية لغوية كانت أم دلائلية،

(1) دلاش الجيلالي: مدخل اللسانيات التداولية، ص14-15.

علامية، ليصبح عنده كل شيء قابلا للتأويل ويكون بذلك الخطاب منفتحًا على كل الجوانب.

ونظرا لهذا التشعب والتفرع لمفهوم التداولية فقد فكر الباحث "بوهلر" أن ينقل البحث من اللسانيات الجامدة إلى اللسانيات الحيوية أي جعل اللسانيات تمتاز بالديناميكية لا السكونية حيث تنصرف مهمة اللساني إلى دراسة الاستعمال البشري الخاص للدليل[1].

كما حاول أن يكشف عن أغراض المتكلمين من خلال كيفيات استعمالهم للأدلة والرموز حتى يؤثروا على المرسل إليه، وقد وضع "بوهلر" أربعة وظائف تتزامن والنشاط اللغوي فتدعمه وتحاول إيصال المرسل بالمرسل إليه وتحقق العملية الإبلاغية.

هذه الوظائف هي:

* وظيفة التمثيل.

* وظيفة التعبير.

* وظيفة النداء.

* الوظيفة المزدوجة: التعبير والنداء.

فكل هذه الوظائف تتحد لتنجح العملية الإبلاغية بإرادة المرسل وقصده، فإرادة المرسل إليه هي محاولته الوصول إلى فهم مقاصد المتكلم، فهو ينتقل من الفعل اللغوي إلى نشاط حقيقي وبالتالي نلاحظ أن الباحث يكشف عن أغراض المتكلم من خلال الاستعمال أي استعمال الأدلة والرموز.

([1]) نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص14.

وقد كان من بين المعرفين لها كذلك "الأستاذ مسعود صحراوي الذي جعلها علما متداخل الجوانب، متشعب الآفاق يدرس كل الظواهر اللغوية وسياقها في مجال الاستعمال حيث عرفها بقوله: 'ليست علما لغويًا محضًا، علمًا يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية في مجال الاستعمال وتتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي. ومن هنا تكون جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي'" [1].

إن الأستاذ "مسعود صحراوي" جعل التداولية علما يدرس كل الجوانب المساعدة على التواصل اللغوي فهي لا تقف عند حدود الشكل اللغوي ولا العلامات والشارات بل ربما؛ تستثمر كل ذلك وتتجاوزه بهدف الوصول إلى التواصل الإنساني، فهي عنده علم مقصدية الخطاب.

([1]) نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص14.

ثانيا: نشأة التداولية وتطورها.

التداولية وهي تبحث عن حيثيات المعنى ستكون ملتقى الدراسات المختلفة، وطبيعة المعنى وتحصيله تتداخل فيه مختلف الدراسات من فلسفة ومنطق وقانون وغيرها.

تبلورت هذه النظرية اللسانية ورسمت منهجها الخاص وحدودها المميزة لها كنظرية مستقلة لها وجودها المستقل عن أسسها الفلسفية والقانونية، فقد قام هذا المنهج على العديد من المقولات والنظريات التي تطوف حول المعنى التداولي.

وتسعى النظريات التداولية من خلال الأهداف المسطرة لها إلى الإجابة عن تساؤلات من النمط الآتي:

* من يتكلم؟ من يقع عليه الكلام؟

* ماذا نفعل عندما نتكلم؟

* ما هي قيود الحديث؟

* أين يكمن الغموض في الكلام؟

* لماذا نقول أشياء ثم نصرّح بعدم قولها مباشرة؟

* لماذا التلميح أبلغ من التصريح؟

* متى يكون الكلام إقناعا [1].

والتداولية للإجابة عن هذه التساؤلات تستعين بالعلوم الإنسانية والاجتماعية وأخرى وبالتالي فإن نشأتها ستكون نتاج هذه الحقول المختلفة سواء بشكل مباشر أو غير ذلك.

([1]) بلخير عمر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، 2003م، ص8.

ثالثا: إرهاصات الدراسات التداولية.

1. عند علماء الغرب"

أ. عند شارل ساندرس بيرس:

يعتبر الفيلسوف السيميائي تشارلز ساندرس بيرس من الأوائل الذين أحدثوا تطورا في المجال اللساني والفلسفي، حيث ارتبطت عنده التداولية بالمنطق ثم بالسيموطيقا.

وارتبطت كذلك بميدان المعرفة والمنهج العلمي، فقد ظهرت ملامح التداولية الأولى مع ظهور مقالة "كيف نجعل أفكارنا واضحة" عام 1878 وقد تساءل بيرس متى يكون للفكرة معنى؟

ودرس الدليل وعلل إدراكه بواسطة التفاعل الذي يحدث بين الذوات والنشاط السيميائي وقد حاول تطوير التجربة الإنسانية من خلال الأدلة، وربطها بالواقع الاجتماعي ورأى أن الواقع المدلول عليه يفترض تجربة إنسانية مبنية لا على ما هو فردي بل على ما هو اجتماعي [1].

وقد اختلف مفهوم "بيرس" للتداولية بتطور مراحل فكره، إذ انطلق أولا بالتساؤل والبحث عن كيفية جعل أفكارنا أكثر وضوحًا إلى أن تصورنا لموضوع ما يقاس بالنتائج العلمية المترتبة عند "بيرس" من حيث أنها منهج متصل بالمنهج العلمي.

كما وقد اهتم بالإشارة اهتماما بالغًا، وبحث عن الطرق التي بواسطتها يتم الاتصال بين الأفراد وجعلها نظرية ليعتبر من خلال ذلك فرعًا من السيميائيات، وذلك

(1) بوقرة نعمان: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2004م، ص198.

فيما كتبه وعبّر عنه في تلخيصه لإطارها العام وذلك أن اللسانيات المتداولة تفترض كلا من الدراسة التركيبية والدلالية.

فالتداولية بهذا المنظور هي نقل للواقع ووسيلة من وسائل المعرفة والاتصال، ومنهج لجميع ميادين المعرفة، ولذلك رأى بيرس أن بالتحديد التداولي تتحدد العلامة اللسانية بحكم استعمالها في تنسيق مع علامات أخرى من طرف أفراد جماعة معينة[1].

فللعلامة اللسانية علاقة بظروف استعمالها ومحيطها.

ب. عند تشارلز موريس:

يعتبر من مؤسسي ومتطوري التداولية، فقد اعتبر التداولية جزءا من السيميائية عند تمييزه لثلاثة فروع لهذه الأخيرة "السيميائية" وهي على التوالي علم التراكيب، علم الدلالة، التداولية [2].

كما وقد نبه موريس إلى علاقة العلامة بمستعمليها وطريقة توظيفها وأثرها في المتلقين ونبه كذلك إلى علاقة الرموز بمؤوليها، وكل هذه الفروع مرتبطة يبعضها ارتباطا وثيقا.

فالتداولية تدرس كيفية تفسير المتلقي للعلامة، وهذا التفسير لا يتم بمعزل عن كل البنى التركيبية والنحوية للغة المستخدمة، لأن النظام اللغوي يتركز على الأشياء والعلامات كذلك بمراجع تحيل إليها في العالم الخارجي، وفهمها يستوجب الإحالة إلى مراجعها، وهذا مبحث دلالي والتداولية تعتمد على عِلْمَيْ التركيب والدلالة في محاولتها للكشف عن مقاصد المتكلم ولقد نظر موريس إلى الأدلة وبحث كيفيات تأثيرها على المرسل إليه، وقد نظر إليها نظرة سلوكية حين اعتبرها طاغية على الموقف فهي التي

([1]) نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص9.

([2]) دلاش الجيلالي: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص18-19.

تُهَيِئُ المخاطب إلى اتخاذ رد فعل معّين، فكل قول في وضع معين يؤدي إلى نفس الإجابة، أو رد الفعل في كل مرة يستوجب دليلا ما اتخاذ موقف لدى المتلقي سواء أكان الموقف إيجابيا أم سلبيا إزاء حدث ما أو شيء ما أو مقام ما.

فتشارلز موريس لم يبتعد كثيرا عن تصور"بيرس" إلا من حيث البعد السلوكي، فمفهومه كان محفزا وسببا للنهوض بمجموعة من الدراسات، تضمنت دراسة الظواهر النفسية الاجتماعية الموجودة داخل أنظمة العلامات بشكل عام وداخل اللغة بشكل خاص إضافة إلى دراسة التصورات.

ج. عند فينيجنشتاين:

هذا العالم ينحو منحى فلسفيا، لكنه سرعان ما عدل عن ذلك واتجه إلى دراسة اللغة العادية، وتعتمد هذه الفلسفة على ثلاثة مفاهيم أساسية هي: الدلالة، القاعدة، ألعاب اللغة.

1. **الدلالة:** فرّق بين الجملة والقول وجعل الجملة أقل اتساعا من القول.

2. **القاعدة:** هي مجموعة المثل الصالحة لعدد كبير من الأحوال والمتكلمين والتي تسمح بتنويع النشاط اللغوي، وهي القاعدة النحوية الصحيحة في الترتيب والاستعمال.

3. **ألعاب اللغة:** هذا المفهوم لا ينفصل عن مفهومي الدلالة والقاعدة، فقد تنوع النشاط اللغوي وتعددت الطرائق في استخدام الجملة الواحدة كالشكر والتحية [1].

([1]) بوقرة نعمان: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2004م، ص198.

فاللغة حسبه "ليست حسابا منطقيا، بل كل لفظة لها معنى معين، ولكل جملة معنى في سياق محدد فالكلمة والجملة تكتسب معنا باستخدامها" [1].

مع العلم أن هذا الفيلسوف قد ساهم مساهمة فعالة في مجال التداولية حيث جعل الاستعمال هو الذي يبث الحياة والحركة في اللغة، وجعل التواصل هدفا.

د. عند جون أوستين:

وبالرغم من الجهود الفلسفية في مجال اللغة، والتداولية على وجه الخصوص، إلا أنّ البحث فيها لم يتضح وإجراءاتها التحليلية لم ترقَ إلى العلمية والموضوعية إلا بمجيء الفيلسوف "جون أوستين" وكانت مرحلة الإكمال والنضج عند أوستين. وهو فيلسوف تأثر بمن سبقه كالفيلسوف فنجنشتاين الذي اعتبر اللغة تُستخدم لِتصف العالم، وما هي إلا أداة رمزية تشير إلى الواقع والوقائع الخارجية وقد تصدى الفيلسوف أوستين إلى هذه الفكرة ونقدها وأنكر أن تكون الوظيفة الأساسية للغة هي الإخبار ووصفه حال الوقائع وصفا إما يكون صادقا أو كاذبا.

وأطلق عليه "المغالطة الوصفية" لتميز بعدها بين نوعين من العبارات التي تكون أفعالا منجزة، فالأولى تخبر عن وقائع العالم الخارجي ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، والثانية تُنْجَزُ بها أفْعالاً فهي لا تحتمل صدقا أو كذبا [2].

ومما سبق يمكن القول إن أوستين وضع نظرية الأفعال الكلامية، وقد ميز بين نوعين من الأفعال اللغوية:

([1]) نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص9.

([2]) آن روبل جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، المنظمة العربية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، يوليو 2003م، ص 30-31، 99.

1. أفعال إخبارية: تتمثل في جملة الوقائع الخارجية التي يحكم عليها بمعيار الصدق والكذب ويخلص أوستين إلى وجود جملة وصفية إثباتيه أو تقريرية يمكن أن تكون كاذبة أو صادقة، فقولنا مثلا أن الأرض تدور حول نفسها فهذا فعل إخباري يتأكد صدقة من خلال مطابقة للوقائع.

2. أفعال أدائية: إنشائية تتمثل في الأفعال التي لا تصف الواقع ويحكم عليها بعيار ثان وهي النجاح والتوفيق أو الإخفاق، ويسمي أوستين هذه الأقوال بالأفعال الإنشائية على عكس الزمرة الأولى. وقد نفى وصفها بالصدق أو الكذب، وأكد أن هذه الأقوال قد تنجح أو تخفق، أو أنها تستجيب لمقتضى الحال أولا، وصفة التوفيق لن تتحقق إلا بتحقيق شروط معينة وهي نوعان [1]:

أ. تكوينية: وهي ضرورية لتحقيق الفعل الأدائي وتتمثل في:

* وجود إجراء عرفي مقبول، أو تأثير عرفي مقبول.

* أن يتضمن الإجراء نطق كلمات محددة من طرف أناس معينين في ظروف معينة.

* أن يكون الناس مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء.

* أن يكون التنفيذ صحيحًا، أي الابتعاد عن استعمال الكلمات الغامضة.

* أن يكون التنفيذ كاملا، مع ذكر الاستعمالات اللغوية المناسبة.

ب. الشروط القياسية: وحضور هذه الشروط لازم للحكم على الفعل بالتوفيق أو عدمه ويمكن تلخيصها فيما يلي [2]:

* ضرورة كون المشارك في الإجراء صادقا في أفكاره ومشاعره ونواياه.

([1]) نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص9.

([2]) دلاش الجيلالي: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 25-26.

* أن يلتزم القائل بما يقول فعلاً.

ولما اتضح لأوستين أن كثيرا من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة الأفعال الأدائية برغم ما بذله من جهد في التمييز بين هذين النوعين من الأفعال أي الأدائية والإخبارية طرح سؤلا كيف ننجز أفعالا حين ننطق أقوالا؟

وفي محاولته للإجابة على التساؤل المطروح رأى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، وهي تشكل كيانا واحدًا، ويقع حدوثها في وقت واحد. علما أن هذه الأفعال لا ينفصل جانب من جوانبها عن الآخر إلا في الدراسة وهي [1]:

1. الفعل اللفظي: وله عدة جوانب:

* **الفعل الصوتي:** ويتمثل في التلفظ أي إنتاج أصوات، وهو ما يتألف من أصوات لغوية مفهومة في تركيب إسنادي صحيح له معنى.

* **الفعل التبليغي:** الكلمة لها صورة صوتية وتنتمي إلى لغة محددة وتخضع لقواعد نحوية.

* **الفعل الخطابي:** وهو الذي يجعل لتلك الكلمات دلالات معينة.

2. الفعل الإنجازي الغرضي: وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي، ويصطلح عليه في الاستعمال كالوعد والتحذير، الأمر والنصح، فهذا الأمر يتعلق بتحقيق قصد المتكلم.

3. الفعل التأثيري: وهو الأثر ورد الفعل الذي يصدر من المتلقي أو السامع، ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطب سواء أكان تأثير جسديا أم فكريا أم شعوريا، فالمتكلم يحدث في السامع تأثيرا على كل المستويات.

([1]) دلاش الجيلالي: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 24.

ومن بين كل الأفعال لأنه منها ولا تأثير له على السامع، وقّد عدَّ أوستين الفعل الإنجازي جوهر أفعال الكلام حتى أصبحت تدعى نظريته بنظرية الأفعال الانجازية أو النظرية الإنجازية [1].

وذلك لأن الفعل الإخباري يرتبط بمقصد المتكلم وعلى المتلقين بذل جهده للوصول إلى مفهومه، وبناء على الأفعال الإنجازية، قام أوستين بتصنيف الأفعال الكلامية إلى خمس أصناف:

الأفعال اللغوية الدالة على الحكم أو أفعال الأحكام: وهي أفعال تعبّر عن حكم يصدر من حكم وقد يكون نهائيًا أو مرحليًا، وقد تكون نافذة أو غير نافذة وقد تكون تقديرية أو ظنية مثل : قدّر، حكم على...

الأفعال اللغوية الدالة على الممارسة أو أفعال القرارات: وهي أفعال تعبر عن اتخاذ قرار لصالح أو ضد شخص مثل: عيّن، نصح، حذّر...

الأفعال اللغوية الدالة على الوعد أو أفعال التعهد: وهي الأفعال التي يتعهد فيها المرسل بفعل شيء فيلزم نفسه به مثل: أعد، أتعاقد على، أقسم...

الأفعال اللغوية الدالة على السيرة أو أفعال السلوك: وهي الأفعال التي تَعمل رد فعل سلوك الآخرين كالاعتذار والشكر، التهنئة و الرجاء...

الأفعال اللغوية الدالة على الغرض أو أفعال الإيضاح: وهي أفعال تستعمل لتوضيح وجهة نظر أو تبيين رأي، وتأتي بالحجج والبراهين مثل: الإثبات والإنكار، المطابقة والاعتراف، الاستفهام وتقوم الأفعال بضبط مكان أقوالنا داخل الحديث أو الحوار.

([1]) دلاش الجيلالي: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 24.

هـ. الفيلسوف "سيرل":

فقد كانت له جهود كذلك في هذا المجال اللساني فقد أكمل مساعي أوستين كما وقد أحكم الأسس المنهجية التي تقوم عليها هذه النظرية، وقد كان ما قدمه من أعمال حول الفعل الإنجازي كافيا لأن ينطلق "سيرل" من هذه الأرضية، فبعد ما استفاد من أستاذه "أوستين" اقترح بعض التعديلات وطوّر نظرية الأفعال اللغوية: ويمكن أن نلخص جهوده في ما يلي:

* نص على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وان للقوة الإنجازية دليلا يسمى "دليل القوة الإنجازية"، وقد بيّن أن الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلّم بنطقه لجُملة معينة يكون باستعماله لصيغة معينة تدل على دلالة معينة كذلك، كالأمر أو النهي أو التنغيم.

* الفعل الكلامي عنده مرتبط بالعُرف اللغوي والاجتماعي، وهو أوسع من أن يقتصر على مُراد المتكلم.

* طوّر كذلك شروط الملائمة وجعلها أربعة وهي على التوالي [1]:

شروط المحتوى القضوي: وهو الذي يقتضي فعلا في المستقبل ويطلب من المخاطب كفعل الوعد.

الشرط التمهيدي: يتحقق هذا الشرط إذا كان المخاطب قادرًا على إنجاز الفعل، والمتكلم على يقين القدرة.

شروط الإخلاص: ويتحقق حيث يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل، فلا يقول غير ما يقصد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع.

([1]) نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 48.

الشرط الأساسي: ويتحقق من خلال محاولة المتكلم التأثير في السامع للقيام بالفعل وانجازه حقا.

إضافة إلى ذلك فقد قسّم الأفعال الكلامية إلى أفعال مباشرة وأخرى غير مباشرة [1].

أما الأفعال المباشرة فقد انطلق "سيرل" من مبدأ فلاسفة اللغة العادية القائل بأن القول هو العمل، لأن القول باعتباره شكلا من السلوك الاجتماعي، وهذا يعني إنجاز أربعة أفعال في الوقت نفسه وهي: فعل القول، فعل الإسناد، فعل الإنشاء، فعل التأثير فأما فعل القول فهو الذي يتمثل في التلفظ بكلمات وجمل ذات بنى تركيبية وصرفية ونحوية، أما الفعل الإسناد فهو الفعل الذي يقوم بربط صلة بين المرسل والمرسل إليه، وأما فعل الإنشاء فهو القصد المعبر عنه في القول الذي قد يكون تحذيرا أو تهديدًا، أو وعدًا أو وعيدا أو أمرًا وأمّا الفعل التأثيري فيكمن في محاولة المتكلّم التأثير على السامع ولكن دون أن ننسى دور المستمع الذي يريد الوصول إلى مقاصد المتكلم باعتماده على جميع العناصر المفضية للتواصل، والفعل المباشر عنده هي الأقوال التي تتوفر على تطابق تام بين معنى الجملة ومعنى القول أو تطابق المعنى والقصد.

الأفعال غير المباشرة فيها ينتقل المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي، وهي أفعال تحتاج إلى تأويل لإظهار قصدها الإنجازي كالاستعارة والكناية.

كما وقد عمل "سيرل" على تطوير نظرية الأفعال الكلامية وأضاف إلى ما جاء به "أوستين" أفكارا هامة. وقدّم لهذه الأفعال تصنيفا جديدًا وبديلا يقوم على أسس منهجية وهي: الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، شرط الإخلاص.

([1]) دلاش الجيلالي: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 29.

وقد جعل نظرية الأفعال الكلامية مقسمة إلى خمسة كما قسّمها أوستين ويمكن إيجازها فيما يلي [1]:

1. **الإخباريات:** الغرض الإنجازي فيها وصف المتكلم واقعة معينة من خلال قضية، والأفعال في هذا الصنف تحتمل الصدق والكذب، أما اتجاه المطابقة فيكون من الكلمات إلى العالم الخارجي.

2. **التوجيهات:** ويتمثل الغرض الإنجازي فيها في محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء أو إصدار رد فعل معين، والأساس الثاني يكمن في الانتقال من العالم إلى الكلمات وشرط الإخلاص يتمثل في الرغبة الصادقة والإرادة ومن أمثلة، النصح والأمر والاستعطاف...

3. **الإلتزاميات:** غرضها الإنجازي فيها يتمثل في التعبير عن التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل وأمّا اتجاه المطابقة فيها فهو الانتقال إلى ذلك من العالم إلى الكلمات.

4. **التعبيريات:** وغرضها الإنجازي كذلك يتمثل في التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص. ويدخل فيه التهنئة والشكر والاعتذار والمواساة، فالمرسل لا يجعل كلماته مطابقة للعالم الخارجي، وإنما المطلوب فيه هو النية والإخلاص.

5. **الإعلانيات:** وأهم ما يميزها أن أداءها يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، فمثلا تأييد فعل إعلان الحرب أداء ناجحًا، فالحرب معلنة فعلا أمّا اتجاه المطابقة فسيكون فعلا من العالم إلى الكلمات، أو من الكلمات إلى العالم ولا تحتاج إلى شروط الإخلاص هنا.

([1]) نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص49.

فالبحث والتحليل التداولي يتضمن عددا من العناصر:

* إشاريات.

* افتراض مسبق واستلزام للحوار إضافة إلى نظرية أفعال الكلام.

* إرهاصات التداولية عند العلماء العرب.

2. عند علماء العرب:

المنهج التداولي هو مستوى تصنيف إجرائي في الدراسات اللغوية ويتجاوزها دراسة المستوى الدلالي، ويبحث في العلامات اللغوية بمؤوليها، مما يبرز أهمية دراسة اللغة عند استعمالها، كما يعني بدراسة مقاصد المرسل، وكيف يمكن للمرسل أن يبلّغها في مستوى يتجاوز دلالة القول الحرفية، كما يعنى هذا المنهج بكيفية توظيف المرسل للمستويات اللغوية المختلفة في سياق معّين حتى يجعله ملائما لذلك السياق، ويكون ذلك بربط إنجازه اللغوي بعناصر السياق الذي حدث فيه، ومنها ما هو مكوّن ذاتي متضمن لمقاصد المتكلم ومعتقداته، وكذلك اهتماماته ورغباته ومنها كذلك المكونات الموضوعية أي الوقائع الخارجية مثل: زمن القول ومكانه، وكذلك العلاقة بين طرفي الخطاب.

وهذا ما تناوله العرب القدامى والمحدثون رغم ندرة الدراسات المختصة والموّصلة للمنهج التداولي، بَيْدَ أن هذا لا يعني غيابها تماما في الدراسات القديمة بصورة عَامة، إذ نجدها وردت في صورة مبثوثة ومعالجات متفرقة بقصد أو بغيره من خلال طرق العرض ونجد ذلك في كثير من الدراسات البلاغية ويتضح هذا في بعض الأعمال منها دراسات **السكاكي** في مفتاح العلوم، **والجرجاني** في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، **والجاحظ** في البيان والتبيين إضافة إلى **ابن سنان الخفاجي** في سر الفصاحة [1].

([1]) صحراوي مسعود: التداولية عند العلماء العرب، ص 171.

فدراسة عملية التواصل أو الاتصال قديمة، قد تعود جذورها إلى الدراسات التنظرية الأولى عند **الجاحظ** و**أبي هلال العسكري**، **وابن قتيبة**، وغيرهم من العلماء العرب، فقد اهتموا بالأثر الناتج مباشرة عن الرسالة، والشروط التي تجعل الخطاب ناجحًا كما ركزوا على المرسل والمتلقي والرسالة وعملية التأثير مع القصد ونوايا المتكلم، إضافة إلى الفائدة من الكلام والإفهام.

ويذهب الكاتب محمد العمري في كتابه "البلاغة العربية" إلى أن التداولية الحديثة هي بعد جاحظي في أصله لاهتمام الجاحظ وتركيزه على عملية التأثير في المتلقي، والإقناع، وقد سميت عنده بنظرية التأثير والمقام [1].

* **فالجاحظ** من خلال تقسيمه للبيان إلى ثلاث جوانب واهتمامه أكثر بالجانب التأثيري والذي يمثل جانبا مهما في التداوليات الحديثة.

فيقول في كتابه "البيان والتبيين" أما بعد، يمكن إرجاع وظائف البيان اعتمادا على كل ما سبق إلى ثلاث وظائف أساسية هي:

*الجانب الإخباري المعرفي التعليمي (حالة حياد) إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام.

* الجانب التأثيري (حالة الاختلاف) تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.

* الجانب الحجاجي (حالة الخصام) إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار [2].

فهذه الجوانب يمكن عدّها جوهر النظرية التداولية في الدراسات المعاصرة فهي تهتم بالتواصل، الإقناع والتأثير، إيصال المعنى وتقديم الفائدة، وضرورة استعمال

([1])العمري محمد: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999م، ص293.

([2]) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، مصر، ج1، ط4، 1975م، ص75.

المعاني والإخبار عن المعنى هو الذي يضمن تقريبه إلى الفهم من حيث تركيزه على ضرورة إفهام المخاطب وإبلاغه محتوى الرسالة الأدبية.

* كما لا يفوتنا أن نشير إلى "**ابن سنان الخفاجي**" الذي تطرق إلى التداولية الحديثة ضمنيًا، وذلك إثر حديثه عن الفائدة التي نرجوها من الكلام، فهو يشترط في الكلام الصحيح الانتظام والفائدة، وإلا فلا يمكن عدّه كلامًا، إلا إذا حقق الفائدة المرجوة منه، فهذا يعني أن الكلام عنده له وظيفة نفعية، كما تحدث عن المواضعة والقصد، إضافة إلى استعمال المتكلم له القصد معين [1].

* أما أذا تطرقنا إلى "**حازم القرطاجني**" فإننا نجده لا يعتبر الكلام الذي لا يدل على معنى كلامًا، فقد أشار إلى فكرة القصد هنا، فهو يقول: "لما كان الكلام أولى الأشياء، بأن يجعل دليلا على المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمها..." [2].

فالكلام الذي يكون دليلا على المعنى يمكن أن يشكل أساسا للدراسات اللسانية الحديثة، مع تحقيق التفاهم وتحقيق التواصل، فأي كلام مرسل من شخص إلى شخص آخر يحمل قصدًا ومعنى وفائدة معينة يريد المرسِل إبلاغها وإيصالها إلى المتلقي.

إضافة إلى كل من عناصر العملية التواصلية من قصد ومنفعة وإفهام هناك قضية التأثير بين كل من المتكلم والمتلقي، فالمتكلم يبتغي من هذه العملية التواصلية إما إفادة المخاطب أو الاستفادة منه.

([1]) الخفاجي أبي محمد عبد الله بن سعيد بن سنان: سر الفصاحة، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1976م، ص33.

([2]) مجلة الوصل: معهد اللغة العربية والأدب العربي، جامعة تلمسان، ع1، جانفي 1994، نظرية المقاصد بين حازم ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، محمد أديوان، جامعة الرباط، كلية الآداب، ص25.

ومبدأ القصد وربطه بمفهوم التلفظ والاهتمام بهذا المبدإ يبدو واضحًا عند ابن جنّي في تعريفه للغة فيقول: "أما حدّها فإنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"[1].

فاللغة عنده مجموعة من الأصوات والألفاظ المجردة، كلما أردنا التعبير عن غرض ما وقصد معيّن عمدنا إلى سبك واختيار هذه الملفوظات، وهذا ما تقاطع فيه ابن جنّي مع ما أقرته التداولية المعاصرة، فمجال هذه التداوليات هو الملفوظات داخل السياق أي أثناء الاستعمال والتلفظ [2].

كما تعد البلاغة والدراسات البلاغية من أهم وأبرز الدراسات التي تربط بين دراسة اللغة واستعمالها في السياق، فالمتتبع والمتمعن في موضوعات البلاغة العربية. يجد أن لها علاقة شراكة بينها وبين اللسانيات التداولية وذلك في اعتمادهما أو عدّهما اللغة أداة لممارسة الفعل في سيق متعددة.

وعلى حدّ تعبير جيفري لتيش (J. Leitch) فالبلاغة تداولية في صميمها. إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع [3].

وفي البلاغة العربية والمتتبع لموضوعاتها يجد فيها عناصر المقاربة التداولية في الخطابات البلاغية، ويجد من السمات البارزة فيها عنصري السياق والمقام إضافة إلى المقاصد التي تستهدف من الخطاب انطلاقا من مبدأ لكل مقام مقال [4].

([1]) ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ج2، ط2، 1952م، ص33.

([2]) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص29.

([3]) فضل صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 2004م، ص31.

([4]) عمران إدريس: نظريات في البلاغة العربية والنماذج اللسانية الحديثة نظرية النحو الوظيفي أنموذجا، ص1.

فالبلاغيون العرب اهتموا بفكرة المقام ومقتضى الحال كذلك وأدرجوها ضمن ملاحظاتهم فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال المستمعين [1].

وهي فكرة وثيقة الصلة بالتداولية فأبو هلال العسكري يقول: "إذا كان موضوع الكلام على الإفهام، فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة، والبدوي بكلام البدو، ولا يتجاوز به عمّا يعرفه إلى ما لا يعرفه فتذهب فائدة الكلام، وتنعدم منفعة الخطاب" [2].

* فقد ربط **أبو هلال العسكري** إفادة الخطاب بتحديد الغاية من الفكرة والسياق الذي وردت فيه وبيان حال المتكلم والسامع، ثم مراعاة الحالة الاجتماعية للمتلقين، كما أنه جعل من المتلقي شريكا في العملية التواصلية.

ونجد كذلك السكاكي قد لفت الانتباه إلى عناصر المقام المختلفة فيقول في هذا: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم... ومقام الجدّ يغاير مقام الهزل...، ومقام البناء على السؤال غير مقام البناء على الإنكار" [3].

وقد كان لعبد القاهر الجرجاني رأي كذلك، هذا الذي جمع بين البلاغة والنحو فقد ثبّت قواعد ودعائم اللغة العربية وكشف عن أسرارها ضمن ما سماه بنظرية النظم

([1]) رزقي حورية: الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، ماجستير في علوم اللسان العربي، جامعة بسكرة، الجزائر، 2006م، ص42.

([2]) وشن دلال: الإفادات والمقاصد التبليغية في النحو العربي من منظور اللسانيات التداولية، ماجستير في علوم اللسان العربي، جامعة بسكرة، الجزائر، 2009/2008م، ص61.

([3]) السكاكي ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر بن محمد: مفتاح العلوم، تحقيق حمدي محمدي قابيل، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، (د، ت)، ص158.

إذ جعل النظم دليلا على الكفاءة الذهنية التي يعتمد عليها المرسل في انجاز الخطاب بناء على الملاءمة بين الكفاءة اللغوية الكامنة في الذهن وعناصر السياق الخارجي [1].

وقد تكلم عن آلية التقديم والتأخير التي لا تكون إلا لقصد وغاية وكل ذلك استجابة لعناصر السياق، كالإخبار والشرط والجزاء، وكذلك في الحال، إضافة إلى الفصل والوصل والإظهار والإضمار، والتكرار كذلك، فهي تكون طبقا للمعاني التي ترومها والأغراض التي تؤمها.

فترتيب هذه العناصر اللغوية لم يأت جزافا، بل كان نتيجة واستجابة تداولية لبعض عناصر السياق.

فكل ترتيب يكون ملائما لغرض وقصد معّين، يستدعيه سياق الخطاب [2].

وقد اقتضت الحاجة في بعض دراسات الأصوليين إلى الإلمام بأدوات المنهج التداولي وآلياته، ومتطلباته السياقية، فالدراسات الأصولية قائمة على البحث في الخطاب ذي السياقات المختلفة، ومن هذه الدراسات ما يتعلق بإنتاج المعنى وتأويله، وشروط ترجيح معنى على معنى آخر، وهذا ما نجده جلّيا في دراسات الشاطبي في الموافقات والغزالي في المستصفى، وهناك بعض الدراسات التي لامست جانبا من جوانب المنهج التداولي ونجد منها الفتاوى "لابن تيمية" وإعلام الموقعين "لابن قيم الجوزية".

فكانت هذه شذرات متناثرة يؤدي القصد فيها دورًا في معرفة المعنى، وقد انقسم العلماء الأصوليون في ذلك إلى فريقين: فريق حنفي وآخر شافعي ويضبط هذا التقسيم

([1]) فضل صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 2004م، ص31.

([2]) عمران إدريس: نظرات في البلاغة العربية والنماذج اللسانية الحديثة نظرية النحو الوظيفي أنموذجا، ص1.

بمبدأ القصدية، فلا كلام إلا مع وجود القصد، فالقصد من القول هو الذي يُوَرّث عنه استلزاماته الصبغة السياقية أو المقامية.

قد درسوا ثنائية الخبر والإنشاء وقرنوها بمبدأ القصد، فالمتقدمون منهم في تمييزهم بينهما أي (الخبر والإنشاء) لم يكونوا مختلفين عما ذهب إليه البلاغيون والنحاة، أما المتأخرون منهم فقد ميزوا بين نوعين من الإنشاء [1]، نوع يختص ألفاظه بالإنشاء سواء كان طلبيا (الأمر، التمني، النهي، الاستفهام...) أو غير طلبي (القسم، المدح، الذم...)

ونوع آخر تشترك ألفاظه بين الخبر والإنشاء وهي ألفاظ العقود.

فإن استخدمت ألفاظ الاستثناء الدالة عليه كان إنشاءً محضًا، وإن استخدمت لدلالة أخرى خرج من الإنشاء المباشر المحض إلى إنشاء العقود. كاستخدام أفعال الاستفهام مثل استفهم مثلا عوضًا عن هل أو همزة، فالقصد هنا يتدخل للتمييز بين الخبر والإنشاء.

أشار الأصوليون أشارات بسيطة في أهمية السياق ودوره في تفسير النص وفهمه فابن القيم يرى في هذا أن السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوّع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته [2].

([1]) ميلاد خالد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2000م، ص356.

([2]) ينظر: الطلحي ردة الله بن ردة بن ضيف الله : دلالة السياق، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1424هـ، ص138.

والفهم عندهم يختلف باعتبارات مختلفة وعدّة منها: الفهم بحسب مقصود المتكلم الذي يمثل غاية البحث الأصولي وغرض التشريع بل هو الحكم الذي يسعون للوصول إليه، وعلى السامع أن يُعوّل على السياق اللغوي للنصوص بمساعدة دلائل عقلية وحالية حتى يكشف عن مراد المتكلم ومقصوده [1].

ويبدو الجهد العربي في البحث التداولي في التمييز بين الخبر والإنشاء كبيرا فكان هذا التميز يعتمد معايير مختلفة باختلاف المراحل، فكان أن اعتمد العلماء العرب في مرحلة أولى معيار قبول الصدق والكذب، وفي مرحلة لاحقة معيار مطابقة النسبة الخارجية، واعتمدوا في مرحلة ثالثة معيار إيجاد النسبة الخارجية.

وهناك من علمائنا من ركزّ على معيار القصد **كالسبكي** في شرحه لتلخيصْ الخطيب **القزويني**، والشيرازي في شرح اللمعاني.

وقد كان علماء أصول الفقه من أحسن المستثمرين لظاهرة الخبر والإنشاء في إطارها التداولي [2]. كما سبق القول معتمدين مبادئ يمكن تلخيصها في: سياق الحال ووضع المتكلم، موقعه من العملية التواصلية...إضافة إلى غرضه من الخطاب.

وقد طبّقوها على النص القرآني، ونصوص السنة النبوية الشريفة بغرض دراسة المعاني الوظيفية، فهذه المعاني تتغيّر بتغيّر المقام، وقد خلصوا إلى استنباط أفعال كلامية جديدة ضمن بحثهم لمعاني الخبر والإنشاء من مثل: الإذن، الوجوب، التحريم والإباحة.

كما نجد أن البعد التداولي في النحو العربي واضح وذلك في تطبيقهم لظواهر الخبر والإنشاء ولاسيما ما جاء به النحويون مثل عبد القاهر الجرجاني والرضي

([1]) ينظر: الطلحي ردة الله بن ردة بن ضيف الله: دلالة السياق، ص140.

([2]) ينظر: صحراوي مسعود: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م، ص172.

الاستربادي ما أظهراه من عناية كبيرة بالارتباط التداولي بين الأسلوب من خبر أو إنشاء وبين معناه الإبلاغي ووظيفته التواصلية، "كما حرصَا على الاهتمام بالمعاني والأغراض المتوخاة من الخطاب، مع إصرارهما على أن البنى التركيبية تابعة للوظيفة التواصلية، كذلك فقد سلكا منهجا تداوليا في تحليل ظواهر البنى التركيبية، كالتقديم والتأخير، والتعيين والإثبات والنفي..." [1].

فهي لا تعدو أن تكون أغراضا وغايات تواصلية يسعى المتكلم من خلالها إلى تحقيق مراده مع حرصه على تضمين الخطاب فائدة تواصلية معينة أو تنبيه المخاطب أو تأكيد رسالة إبلاغية أو نداءه، أو إغراءه، أو تحذيره أو توبيخه...

كما أن كلا من الجرجاني والرضي لم يغفلا عن الاهتمام بالعلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب، فالمتكلم له غرض وقصد من الكلام، أما المخاطب فالفائدة التي يجنيها من الخطاب، وقد كان اهتمام النحاة بالبعد التداولي للظواهر اللغوية كتطبيق معاني الخبر والإنشاء على بعض الظواهر النحوية، كما ناقشوا كثير من المعاني المتعلقة بإنجازيه الأساليب العربية بخلفية تداولية، فتطرقوا إلى فعل الإغراء، وفعل التحذير، وفعل النداء وغيرها من الأفعال الكلامية، مع العلم أن النحو العربي لم يكن تناولا للبنية اللغوية دون النظر إلى أحوال الاستعمال المختلفة فقد اهتم بمسائل مرتبطة بالمتكلم بعده منتج الخطاب، وكذلك السامع ونص الخطاب [2].

فللمتكلم مكانة بارزة كما للسامع في النحو العربي، والمتكلم يعتد به في التفريق بين الكلام والتكليم حيث إن التكليم هو تعليق الكلام بالمخاطب أما المتكلم فهو فاعل

([1]) بوجادي خليفة: في اللسانيات التداولية، محاولة للتأصيل للدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009م، ص216.

([2]) المرجع نفسه، ص217.

الكلام والمراد به القول الذي يحسن السكوت عنه، والمفيد بالقصد، فشروط الكلام مرتبطة بالمتكلم.

أما السامع فهو مرتبط بالفائدة المبتغاة من الكلام، وقد تتضح أهمية السامع والاهتمام به في باب الحذف حيث تميل أغلب اللغات إلى حذف ما يمكن للسامع فهمه اعتمادا على القرائن المصاحبة، فالحذف يكون بدليل يعرفه المخاطب أو السامع [1].

وللخطاب كذلك قيمة لدى النحاة ويتضح ذلك من خلال دراساتهم عن الأغراض المبتغاة من الأساليب وخروج الأسلوب من معناه الحقيقي إلى معنى آخر [2]، ومن المباحث النحوية التي اهتمت بتداولية الخطاب نجد التقديم والتأخير، وكذلك التعبير بالجمل الفعلية خلافا عن الجمل الاسمية، كما نجد أن هناك مجموعة من الموضوعات التي تناولها النحاة العرب قديما يشترك فيها اللسانيون التداوليون حديثا من وحدات لغوية نحو الضمائر، وأسماء الإشارة، والظروف بنوعيها، وكذلك المعنى وعلاقته بالبنية، وغيرها من الموضوعات الأخرى التي تهتم بالمتكلم والسامع على حد سواء إضافة إلى الخطاب.

كما أن كلا من الجرجاني والرضي لم يغفلا عن الاهتمام بالعلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب، فالمتكلم له غرض وقصد من الكلام أما المخاطب فبإحتفائه والفائدة التي يجنيها من الخطاب وقد اهتم النحاة بالبعد التداولي للظواهر اللغوية كتطبيق معاني الخبر والإنشاء على بعض الظواهر النحوية، كما ناقشوا كثيرا من المعاني المتعلقة بانجازية الأساليب العربية بخلفية تداولية، فتطرقوا إلى فعل التأكيد، وفعل الإغراء، وفعل التحذير، وفعل النداء، وفعل الاستغاثة والندبة وغيرها من الأفعال الكلامية.

([1]) بوجادي خليفة: في اللسانيات التداولية، محاولة للتأصيل للدرس العربي القديم، ص 223-224.

([2]) القزويني الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط5، 1980م، ص135.

وإذا ما نظرنا وتتبعنا علوم تراثنا العربي من نحو وبلاغة، وفقه وأصول، وتفسير وقراءات بعدّها وحدة متكاملة في دراسة اللغة يتضح لنا أن هناك اتجاها يهتم باستعمال اللغة وما يتصل بها من قرائن غير لفظية نحو: منزلة المتكلم وعلاقته بالسامع، حالة كل منهما النفسية وغيرها من القرائن فتراثنا ضخم فيه الكثير من المفاهيم والتصورات التي يمكن استقراؤها والتي تشبه ما جاء به التداوليون المعاصرون.

رابعا: نظرية أفعال الكلام.

قامت اللسانيات التداولية على تحليل مقاميات الخطاب ومقاصده إذ عُنِيتْ بدراسة معاني المنطوقات في علاقتها بالمتكلم ودراسة الاستلزام الحواري، ودراسة كيفية كون الاتصال أوسع من مجرد القول ودراسة الشروط التي تجعل المنطوقات مناسبة وناجحة، إضافة إلى دراسة العلاقة بين أفعال الكلام وسياقاتها غير اللغوية.

فاللسانيات التداولية على مكونات ثلاثة: من تحليل المحادثات وتحليل الفروق الحضارية، والتفاعلات اللغوية من منظور العلوم الاجتماعية [1].

كما نهضت كذلك على فلسفة اللغة وعلى تداولية أفعال اللغة بوجه خاص، إذ كانت هي من أهم الدعائم اللسانية التي ساعدت النظرية التداولية على النمو والازدهار ومن بين الذين اهتموا واشتغلوا بالدرس اللساني التداولي، وساهموا في تطويره الهولندي هانسون Hansson الذي سبق ذكره. ويعد أول من حاول التوحيد بين مختلف مكونات التداولية، وذلك من خلال تقسيمه للتداولية إلى ثلاث درجات، فكل درجة تهتم بالسياق لكن توظيفه يختلف من درجة إلى أخرى، وهذه الدرجات هي:

أ. **تداولية الدرجة الأولى:** وهي تهتم بدراسة الرموز الإشارية (أي التعابير المبهمة) ضمن ظروف استعمالها أي سياق تلفظها. وسياقها الموجودات أو محددات الموجودات [2].

ب. **تداولية الدرجة الثانية:** وهي دراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها في الحالات الهامة.

([1])علوي حافظ إسماعيل: التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2011م، ص307.

([2]) فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ع41، 1986م، ص9.

فالقضية المعبر عنها، عليها أن تتميز عن الدلالة الحرفية للجملة، وسياق هذه الدرجة هو سياق بالمعنى الموسع، فهو يمتد إلى ما يتوقعه المخاطبون.

ج. تداولية الدرجة الثالثة: وهي نظرية أفعال اللغة أو أفعال الكلام Speachacts لأوستين (Austin) ويتعلق بمعرفة ما تمّ من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية، لأن الأقوال التي تتلفظ لا تصف حالة راهنة للأشياء فحسب بل إنها تنجز أفعالا والسياق المحدد فيما إذا كان التلفظ أمرًا أو نهيًا أو استفهامًا... [1].

وتحدد الدلالات بتعيين أفعال الكلام التي يمكن أن تتضمنها الجملة والتي تمثل القصد الحقيقي للمتكلم، "والتي تسهم إلى جانب السياق في تحديد الدلالة الدقيقة ونوع التواصل بينه (المتكلم) وبين المخاطب" [2].

ويمكن أن نستشف بعضا من هذا التقسيم في التعريف الذي قدّمه الباحث صلاح إسماعيل للتداولية، حيث حاول استخلاص مفهوم للتداولية من خلال جوانبها المكونة لها فيقول: "علم الاستعمال إذن دراسة لغوية تركز على المستعملين للغة، وسياق استعمالها في عملية التفسير اللغوي، بجوانبها المتنوعة، وينقسم هذا إلى عدة فروع: يبحث الفرع الأول: كيف يحدد السياق المعنى الواحد بالنسبة لجملة في مناسبة معينة لاستعمال هذه الجملة، ونظرية الفعل الكلامي: Speech Theory هي الفرع الثاني من علم الاستعمال والفرع الثالث من علم الاستعمال... هو نظرية التخاطب Theory of couversation أو نظرية الاقتضاء Theory of implicature."[3]

([1]) فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 38.

([2]) حنا سامي عياد ، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس: معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص112.

([3]) عبد الحق صلاح إسماعيل: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة، القاهرة، 2005م، ص77-78.

فالتداولية تضم مجموعة من المفاهيم الإجرائية والقضايا تمكنها من معالجة اللغة في سياقات استعمالها المختلفة، لذلك فقد أولى علماء اللسانيات هذه القضايا عناية كبيرة في أبحاثهم اللغوية لكونها تسهم في كشف المعنى بأدق صورة ممكنة، وأكثرها ضبطا أثناء الاستعمال.

ولأن التداولية لم يكن منشأها ثابتا، ونظرياتها مبنية على أساس أن اللغة البشرية لا تنجز إلا بتداخل السياق باللغة وبمستعمليها، فقد ظهرت هناك محاولات عديدة لوضع حدّ للرّكام النظري التداولي وقسموه إلى ثلاثة أقسام، كما سبق القول تخضع أساسًا إلى علاقة المتخاطبين بالسياق، والذي يهمنا هنا القسم الثالث الذي يتضمن نظريات الأفعال الكلامية التي أولت الاهتمام للأفعال ذات الامتداد الاجتماعي، المنجزة من قبل الإنسان بمجرد تلفظه بمجموعة من الأقوال ضمن سياقات متعددة.

فهذه النظرية أي نظرية الأفعال الكلامية، تعد من أهم جوانب اللسانيات التداولية لما تحويه من أفكار ورؤى لسانية مهمة، وما تضّمه من آليات تشترك فيها مع بقية جوانب اللسانيات التداولية من قصد وإفادة إضافة إلى الحجاج... وغيرها ولذلك لقيت اهتمامًا بالغًا أمره في اللسانيات الحديثة.

وتقوم نظرية أفعال الكلام هذه على فرضية أساس مفادها: "أنه يُقصد بالكلام تبادل المعلومات والقيام بفعل خاضع لقواعد مضبوطة في الوقت نفسه، ويهدف هذا الفعل إلى تفسير وضعية المتلقي ونظام معتقداته ومواقفه السلوكية" [1].

ونجد لهذه النظرية أو الظاهرة أثرًا طّيبًا في التراث العربي البلاغي وذلك ضمن مباحث علم المعاني، فهي تقابل ما يطلق ويُصطلح عليه مبحثي الخبر والإنشاء فالباحث

(1) بوقرة نعمان: نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع17، ص169-170.

الجزائري مسعود صحراوي يقول: "تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية تحديدًا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة بالخبر والإنشاء، وما يتعلق بها من قضايا وفروع وتطبيقات ولذلك تعتبر نظرية الخبر والإنشاء عند العرب من الجانب المعرفي العام مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية" [1].

وهذا ما اصطلح عليه السكاكي بـــ "قانوني الخبر والطلب" وربط كل منهما بعلاقته بالخارج من عدمها، فالخبر ما ارتبط بالخارج فيكون صادقا إذا طابقته ويكون كاذبًا إذا خالفه وهو كذلك ما احتمل الصدق أو الكذب، أما الإنشاء فلا يرتبط مفهومه بالصدق أو الكذب ويتميز مدلوله ويتحقق بمجرد النطق به والطلبي منه ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب لامتناع طلب الحاصل [2].

وقد قسّم السكاكي الجمل إلى خبرية وأخرى طلبية، والقصد من الخبرية هو الحكم شيء على شيء آخر في الخارج، أما الطلبية فهي طلب شيء غير حاصل في الخارج.

يقول أحمد المتوكل في ذلك: "من المعلوم أن الفكر اللغوي العربي القديم يتضمن ثنائية (الخبر الإنشاء) التي تشبه إلى حدّ بعيد الثنائية الأوستينية (الوصف والانجاز) كما يدل على ذلك تعريف القدماء للخبر والإنشاء" [3].

أما القيم التداولية التي يحملها الخبر والإنشاء، فلأن البلاغيين فرّقوا بينهما انطلاقا من علاقة كل منهما بالواقع، إضافة إلى النظر إلى مقياس الصدق والكذب الذي يبحث في مدى مطابقة الكلام ومدلوله للواقع الخارجي من عدمه.

([1]) صحراوي مسعود: التداولية عند العلماء العرب، ص49.

([2]) السيوطي جلال الدين: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، مخطوط، (د، ت)، ص48.

([3]) المتوكل أحمد: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، دار البيضاء، ط1، 1985م، ص37.

فالباحث في البلاغة العربية يكاد يجزم بحصر معاني الكلام في الخبر والإنشاء لولا وجود من تجاوز هذين المعنيين إلى معانٍ أُخرى.

فمنهم من حصر معاني الكلام في عشرة؛ خبر، واستخبار، وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض وتحضيض، وتمن وتعجب [1].

كما وقد حصروا الخبر في الإعلام، والاستخبار في الاستفهام، والأمر في ما إذا لم يفعله المأمور به سمي عاصيًا.

وقد اقترح آخرون معاني أخرى تتمثل في نداء، ومسألة، وأمر، وتشفع وتعجب وقسم شرط، ووضع، وشكر واستفهام [2].

ونجد أن هذا التقسيم للكلام والى هذه المعاني وغيرها قائم على الأحوال المختلفة للكلام بحسب المتكلم ومقصوده، والسامع وتأويله، والمقام وسياقاته.

فهذه الأحوال هي التي اهتم بها البلاغيون العرب واحتفى به اللسانيون التداوليون المحدثون كما يمكن عدّ عمل الدكتور أحمد المتوكل في كتابه الذي هو في الأصل أطروحة نال بواسطتها شهادة الدكتوراه بجامعة محمد الخامس أفضل ما أنجز في هذا المجال عند العرب المحدثين وعند بعض الأجانب، وهو من الأعمال التي تميّزت بالدقة والصرامة.

([1]) بن فارس أحمد: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، بدران للطباعة، بيروت، لبنان، 1963م، ص179.

([2]) بوجادي خليفة: نحو منظور تداولي لدراسة البلاغة العربية، مشروع لربط البلاغة بالاتصال، جامعة سطيف، الجزائر، ص740. وينظر: أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص132.

فقد حاول أحمد المتوكل في هذا العمل التنظير والمقارنة لهذهّ النظرية منطلقا من ركنين أساسين هما [1]:

* استخلاص نظري للمعنى عند العرب في محاولة لاستقراء التراث العربي.

* إرساء الأسس المنهجية التي ستسمح بذلك، وقد كان الهدف من ذلك وضع نحو كافي يتكفل بوصف اللغة العربية وصفا شاملا، وقد اعتمد في ذلك على مجموعة من النظريات اللغوية السيميائية، ففي مجال نظرية الأفعال الكلامية قد أشار إلى اتفاق العرب القدامى على تمييز الخبر من الإنشاء، والتمايز الذي بينهما في بعض الأحيان جعل هناك اتجاهين اثنين في دراسة هذه الأساليب هما:

1. **الاتجاه النحوي:** الذي يرى أن الكلام خبر كله، مثل اعتبار النحاة النداء خبرا، كما أنه ينظر في عبارات الاستفهام والأمر وغيرها على أنها أشكال، وبالتالي فقد فصلوها عن وظائفها التداولية.

2. **الاتجاه البلاغي:** يقسم الكلام إلى أفعال كلامية مباشرة وأخرى غير مباشرة، وتتجلى معالم هذا الاتجاه في كتب البلاغة والأصول.

كما يذهب إلى أن القدامى قد ذهبوا مذهبين في تصنيفهم الأفعال الكلامية غير المباشرة وهما على التوالي:

* مذهب نحوي يمثله النحاة.

* ومذهب دلالي وتداولي يستند إلى أغراض المتكلم يمثله أصحاب البلاغة.

اهتم العرب القدامى بهذه الظاهرة واعتبروها فروعا، ويشكل ذلك تقدما لا مثيل له في الدراسات اللغوية والأسلوبية، وقد تفطن السكاكي لهذه الظاهرة و حاول التقعيد

([1]) المتوكل أحمد: اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف الاستلزام التخاطبي، أعمال الندوة 03 في البحث اللساني والسيميائي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص20.

لها عن طريق فهم الآليات التي تتحكم في تحقيقها، كما وقد ضبط في تحليله علاقة المعنى الصريح بالمعنى المستلزم مقاميا، ويصف مع ذلك آلية الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم وذلك بوضع قواعد استلزامية واضحة [1].

أما الدكتور خالد ميلاد فقد كان له عمل بعنوان "الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية"، وقد كان يسعى من خلاله إلى تقصي مفهوم الإنشاء في الدرس العربي وبيان حدوده وأصوله وفروعه، ومدها وجزرها، وتولد بعضها من بعض، وكان ذلك من خلال الوقوف عند الخصائص الدلالية للكلام الإنشائي، وما يربط بينه و بين تركيبات إعرابية [2].

كما قد استند في ذلك على نصوص من التراث النحوي والبلاغي إضافة إلى التراث الأصولي، ويمكن عد عمله أو بحثه هذا ضمن مشروع أو محاولة لإعادة قراءة التراث اللغوي العربي.

ونجد كذلك الدكتور مسعود صحراوي في بحثه الموسوم بـــ: "الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي قد عد فكرة "تقسيم الكلام" ذات منشأ عربي مشتركة بين البلاغيين والفلاسفة وعلماء الأصول، نجد هذه الفكرة عند كل من أبي نصر الفرابي، والقاضي عبد الجبّار، وابن سينا، وعبد القاهر الجرجاني، ونجم الدين الكاتبي، وأبي يعقوب السكاكي، وسيف الدين الآمدي، وشهاب الدين القّرافي ورضّي الدين الاستراباذي، ومحمد بن علي الجرجاني، إضافة إلى جلال الدين الخطيب القزويني [3].

([1]) المتوكل أحمد: اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف الاستلزام التخاطبي، ص21.

([2]) عبد الرحمن طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مركز الفكر العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998م، ص295.

([3]) المرجع نفسه، ص 296.

دون أن ننسى محاولات عديدة لتقسيم الأساليب الإنشائية أو الأفعال الكلامية بالمصطلح التداولي نجد محاولة "ابن الكيسان" الذي قسم الكلام إلى أربعة أصناف: الإثبات، الاستخبار، الطلب بنوعيه (الأمر والنهي).

أما نجم الدين الكاتبي فقد قسّم الإنشاء إلى قسمين:

1. **إنشاء طلبي:** ويشمل: الأمر، والالتماس، والدعاء.

2. **إنشاء غير الطلبي:** ويشمل: التمني، والترجي، الاستفهام، التعجب، القسم، والنداء.

بينما قسم ابن قتيبة الكلام إلى الأمر، والاستفهام، والإثبات، والرغبة.

ويعد أدق التقسيمات وأبرزها ما قدّمه أو وضعه السكاكي أبو يعقوب، بتقسيمه للطلب إلى نوعين: وذلك في قوله: "والطلب إذا تأملت نوعان، نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول، وقولنا لا يستدعي أن يمكن أعم من قولنا يستدعي أن لا يمكن، ونوع يستدعي فيه، فالنوع الأول هو التمني، أما النوع الثاني فهو الاستفهام والنهي والنداء [1].

ونجد كذلك ما عرضه ابن سنان الخفاجي في شأن الكلام، فقد عدّه فعلا لا يختلف عن الضرب والتحريك (...) في وصف ما هو عليه في الواقع، إضافة إلى ذلك نجد ابن رشد الذي ربط الكلام بالفعل، فالكلام ليس شيئا أكثر من أن يفعل المتكلم فعلا يدل به المخاطب على العلم الذي في نفسه، أو يصير المخاطب بحيث ينكشف له ذلك العلم في نفسه و ذلك من جملة أفعال الفاعل [2].

([1])السكاكي أبو يعقوب: مفتاح العلوم، ص 131، وينظر: مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول، ص150.

([2])بو جادي خليفة: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص169.

فمن كل ما تقدم يتضح لنا أن في التراث اللغوي العربي القديم ما يبحث، بل قد بحث في ظاهرة الأفعال الكلامية وكان ذلك ضمن "نظرية الخبر والإنشاء"، وقد احتفى بهذه الظاهرة احتفاء خاصا واشتغلت بها طوائف من العلماء والدارسين في فروع علمية كثيرة من المعرفة العربية.

وإذا اعتمدنا على تقسيم كل من الخبر والإنشاء من منظور تداولي معاصر سنجد "الخبر" يتدرج ضمن "التقريريات" والإنشاء ضمن "الأمريات والايقاعيات والبوحيات" [1].

كما أن العلماء العرب قد قسموا كلا من الخبر والإنشاء تقسيما تفصيليا يتضح من خلال المخطط التالي:

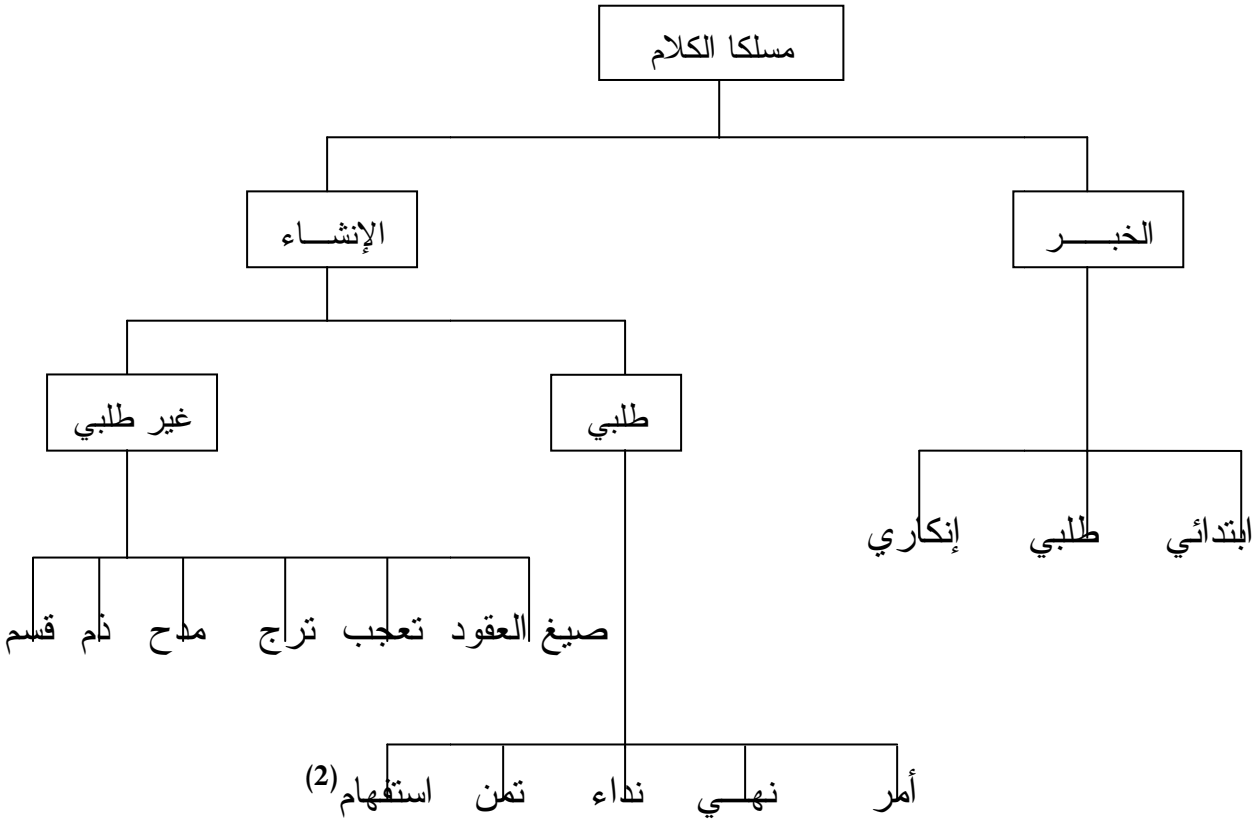

(1) صحراوي مسعود: التداولية عند العلماء العرب، ص83.

(2) بوقرة نعمان: نحو نظرية لسانية عربية لأفعال الكلام، ملتقى علم النص، مجلة أكاديمية محكمة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 17، 2002م، ص 194.

لقد عرف العلماء العرب منذ العصور القديمة فكرة التداولية، وناقشوها في كثير من موضوعاتهم ودراساتهم، واهتموا بكل ما تهتم به التداولية من مظاهر لغوية انبثقت من سياق الاستعمال اللغوي، كما ترجموا لمباحث كثيرة متصلة بها وقد تجلى ذلك في باب الخبر والإنشاء كما سبق القول والإشارة إليه.

كما أن هذه الفكرة لم تكن حكرا على اللغويين من النحاة و علماء البلاغة فحسب، بل اعتنى بها عناية فائقة كل من علماء المنطق والفلاسفة إضافة إلى الأصوليين والفقهاء الذين كانت لهم آراء في ثنائية "الخبر والإنشاء" فقد قرنوها بمبدأ القصد والإفادة، فاعتبروا الشهادة والرواية والدعوى والإقرار... وغيرها كلّها أفعال كلامية منبثقة عن الخبر، أما الوجوب والإباحة والحرمة والكراهة... أفعال كلامية ناتجة عن الأساليب الإنشائية [1].

وإذا كانت التداولية في أوجز تعريفاتها هي دراسة مناحي الكلام أو دراسة اللّغة حين الاستعمال والبلاغة هي المعرفة باللّغة أثناء الاستعمال، وهي كذلك فن القول، فإن الكلام أو اللّغة وبلاغتها تمثل علما للاتصال والتواصل بين كل من المتكلم والسامع.

وخلاصة البلاغة العربية تتمحور في حديث الرّسول صلى اللّه عليه وسلّم الذي لا ريب أنّه أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء، وكلامه في الذروة والسنام، وحديثه صلّى اللّه عليه وسلّم يلي في الفصاحة القرآن الكريم، لذلك ارتأينا أن نحاول تطبيق نظرية الأفعال الكلامية على أقوال الرّسول الكريم صلّى اللّه عليه وسلّم التي رويت عن طريق مجموعة من أتباعه وصحابته، فكان اختيارنا قد وقع على صحيح البخاري الذي يعد ويعتبر أصح الكتب التي جمعت أحاديث الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم.

([1]) صحراوي مسعود: التداولية عند العلماء العرب، ص172.

خامسا: الأمثال (مفاهيم ومنهج).

وبما أن البلاغة هي فن القول، وتشتمل على كل من المعاني والبيان والبديع فقد اعتمدنا على البيان وخاصة التشبيه أو الأمثال التي اعتمدها الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم في أقواله وأحاديثه المروية عنه فالأمثال تشكل بنمطها اللّغوي أبسط الأشكال وأوجزها فهي تعكس مشاعر النّاس، وأفكارهم وتصوراتهم لحياتهم، وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، فهي تعبّر عن معظم مظاهر الحياة بصورة حيّة.

فهي كذلك تمتاز بسيرورتها على الألسن من جيل إلى جيل آخر، ومن لغة إلى أخرى، كما أنّ لها سحرا في التأثير على المستمع وإقناعه رغم بساطة معانيها، وسهولة صياغتها.

وهذه اللّفظة في حدّ ذاتها تحمل معاني عدّة منها ما ذكره اللّغويون:

الشبه والحجة والصفة: وهذا ما قال به الفيروز آبادي (ت817هـ) والمثال عنده هو المقدار والقصاص إلى غير ذلك من معان [1].

المثل والنظير: يقول أحمد بن فارس (ت395هـ) "مثل" يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا أي نظيره، والمثل والمثال بمعنى واحد، تقول العرب: "أمثل السلطان فلانا؟" والمعنى أنّه فعل به مثلما كان فعله [2].

([1]) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة "مثل".

([2]) بن فارس أحمد: معجم مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ج5، 2002م، ص296.

الصفة: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾ [1]، أي ذلك صفة محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم وأصحابه في التوراة، ثمّ أعلمهم أن صفتهم في الإنجيل كالزرع [2].

المثال والحذو: فكلّما كان شاخصا لأمر ما، كان ماثلا له، وعلما يعرف به كأنه ماثل بين يديه، و منتصب أمام عينيه [3].

أما الدلالة الاصطلاحية لهذه اللّفظة فهناك اتجاهان:

1. اتجاه أدبي تفسيري: يعنى بإبراز جوانب من خصائص المعنى المصطلح عليه، على اعتبار المورد والمضرب والغرابة إضافة إلى السيرورة، ويمثل هذا الاتجاه كل من ابن السكيت (ت 243هـ) والمبرد (ت285هـ) والزمخشري (ت538هـ)، والرازي (ت 606هـ).

فقد ركزوا على السمات الأساسية التي تجعل من المثل جنسا أدبيا يتميز عن غيره واهتموا بمواضع استعماله، فابن السكيت (ت 243هـ) عرّف المثل فقال: "المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، و يوافق معناه معنى ذلك اللّفظ" [4].

فقد التفت ابن السكيت (ت243هـ) في تعريفه للمثل إلى مضرب هذا المثل ومخالفة لفظه له واتحادهما في المعنى.

أما المبرد (ت285هـ) فقد التفت في تعريفه للمثل إلى وجه المشابهة بين الحالين مع ملاحظة سيرورة المثل: فقال: هو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول

([1]) سورة الفتح: الآية 29.

([2]) ابن منظور ابو الفضل جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، مادة "مثل".

([3]) المصدر نفسه، مادة "مثل".

([4]) الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، ج1، تحقيق محمد يحي الدين عبد الحميد، ص5.

والأصل فيه التشبيه... فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول... فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواعيد [1].

2. اتجاه بلاغي: ينظر أعلام وأصحاب هذا الاتجاه إلى مثل باعتباره حالة خاصة من حالات التمثيل أي التشبيه.

فالمثل عند القزويني (ت739هـ) وشراح التلخيص هو التمثيل على سبيل الاستعارة[2].

كما ذهب كل من الفراء (ت204هـ) وأبو عبيدة (ت209ه،) إلى أن المثل يراد به المثال بمعناه العام، أو يُراد به التشبيه وما يتصل به من تمثيل. أما الجاحظ (ت255هـ) فقد استعمل "المثل" بمعنى الاستعارة.

وقد وصفت هذه المثال بالفصاحة، والبلاغة، والمنطق، والإيجاز المعبّر والتلويح المصرح، والكتابة المفصحة، ونعتت كذلك بجوامع الكلم، ونوادر الحكم.

ونظرًا لأهمية الأمثال فقد جعلت لها مصنفات جمعت فيها، وتم تصنيفها وتبويبها وشرحها وجعلوا منها مادة تأديبية وتعليمية وتربوية.

فكما عُنِيَ بأمثال العربية السائدة فقد عُنِيَ كذلك بأمثال القرآن الكريم وأفردوا لها بالتأليف، من أمثال أبي الحسن الماوردي ومنهم من عقد لها بابًا في كتاب من كتبه مثل السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" وابن القيم في كتابه "أعلام الموقعين" حيث تتبع أمثال القرآن التي تضمنت تشبيه الشيء بنظيره، والتسوية بينهما في الحكم.

كما عني بعض الدارسين بأمثال الحديث النبوي كذلك وقد قسموها إلى ثلاث أنواع:

([1]) الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، ج1، ص 5-6.

([2]) القزويني الخطيب: الإيضاح، ص307.

1. الأمثال المصرحة: وهي ما صرّح فيها بلفظ المثل: أو ما يدل على التشبيه كما جاء في الحديث الصحيح "إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير منها طائفة أمسكت ماء ولا تنبت كلأ وذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" [1].

2. الأمثال الكامنة: وهي التي لم يصرّح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معانٍ غاية في الإيجاز ويكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها ومثال ذلك (وخير الأمور أوسطها) و (ليس الخبر كالمعاينة) و (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) [2].

3. الأمثال المرسلة: وهي جُمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه ومثاله: (سبقك بها عكاشة) [3].

ولهذه الأنواع الثلاثة فوائد يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

* تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، فيتقبله العقل، لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم.
* تكشف عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر.
* تجمع المعنى الرائع في عبارة موجزة.
* يضرب للترغيب في الممثل به ممّا ترغب فيه النفوس.
* ويضرب للتنكير حيث يكون الممثل به ممّا تكرهه النفوس.
* يضرب المثل لمدح الممثل به.
* وفيه ما يُضرب لتبكيت الخصم.
* هي أوقع في النفوس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأشد في الإقناع.

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: فضل من علم وعلّم، 79.

([2]) المصدر السابق، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، 6133.

([3]) المصدر نفسه، كتاب الرقاق، باب يدخل سبعون ألف بغير حساب، 6542.

وقد أكثر النبي صلّى الله عليه وسلّم الأمثال في السنة للتذكير والعبرة، كما استعان بها الداعون إلى الله في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة وتستعمل وسيلة للإيضاح والتشويق، والترغيب والترهيب.

فقد استعان النبي صلّى الله عليه وسلّم في قيامه التبيين والبلاغ الذين كلّفه بهما ربّه عزّ وجلّ تبنى أساليب الإيضاح والتعليم، ويأتي الذروة من تلك الأساليب أسلوب ضرب المثل.

إلا أن ضرب الأمثال في البيان النبوي لم يكن لغاية فنية وجمالية متعمدة، كالغاية التي يتعمدها الأدباء في كتاباتهم، وإنمّا جاء هذا الأسلوب لهدف أسمى من ذلك ألا وهو إبراز المعاني في صور مجسمة بغرض توضيح الغامض، وتقريب البعيد، وإظهار المعقول في صورة المحسوس.

فالحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورة فنية إذا صيغت في قالب حسيّ يقرّبها إلى الأفهام، والرسول صلّى الله علّيه وسلّم يبلّغ في رسالته السماوية مجموعة من الحقائق السامية والنبيلة من حث النفوس على فعل الخير وحَضِّها على البّر، ودفعها إلى الفضيلة ومنعها من المعصية والإثم، وقد كان التمثيل هو القالب الذي يبرز المعاني في صورة حية ويجعلها تستقر في الأذهان وذلك تشبيه الغائب بالحاضر والمعقول بالمحسوس، وقياس النظير على النظير، فالتمثيل كذلك يُكسب المعاني الجميلة روعة وتقبلاّ للنفس، وإقناعًا للعقل.

ولمّا كان الهدف من ضرب الأمثال هو إدراك المعاني الذهنية والمجردة، وتقريبها من العقل، وتكوين صورة لهذا المعنى في المخيلة وذلك ليكون التأثير أشد

وأقوى، فقد كَثُرَ الاعتماد على هذا الأسلوب في القرآن الكريم فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [1].

وقد ضرب الله تعالى المثل بأحقر مخلوقاته (البعوضة) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [2].

وحرص الرسول صلّى الله عليه وسلّم على ضرب المثل في الأحداث والمواقف المتعددة، وقد كان ذلك لأهداف تربوية حيث كان عليه الصلاة والسلام في بعض المواقف يكفيه أن يَرُدَّ ردًا مباشرًا لكنه يؤثر ضرب المثل لما يحمله المثل من توجيه تربوي وسرعة في إيصال المعنى المراد.

ورغم كل هذه الأهمية البالغة إلا أننا لم نر أن أحدا من أصحاب الكتب الستة أفردها بالتأليف أو أفرد لها بابًا في كتابه إلا الإمام الترمذي فقد خصص لأمثال الحديث مكانًا في جامعه تحت عنوان أبواب الأمثال عن الرسول صلّى الله علّيه وسلّم.

أما عن صحيح البخاري الذي تمّ اختيارنا له بالدراسة فقد اشتمل على الأمثال وقد كانت مبثوثة بين طّيات أغلب الأبواب.

فالأسلوب النبوي اشتمل كغيره على معانٍ كثيرة تحقق أغراضًا سامية فاختيار للتعبير عن هذه المعاني وتلك الأغراض طرق مناسبة، فقد جمع بين البيان والتوضيح وتحقق الإقناع والتأثير.

([1]) سورة الزمر: الآية 27.

([2]) سورة البقرة: الآية 26.

وتحقيق تلك الأغراض الدينية والبيانية التي يريد أن يصل إليها الخطاب النبوي يكون بمخاطبة منافذ النفس المتعددة، فكان الجمال الفنّي الذي اتسم به التعبير وهو نتاج هذه الطريقة المتبعة ألا وهي ضرب الأمثال وذلك في عرض الحقائق.

وبما أن التشبيه هو فن من فنون البلاغة يدل على سعة الخيال التصوير ويزيد المعنى قوة ووضوحًا ;إذ يفخم المعنى بالتمثيل وينبل ويشرف ويكمل، فأُنس النفوس موقوف على أنْ تخرجها من خفيّ إلى جلّي، وتأتيها بصريح بعد مُكَنّى، وأن تردّها في الشيء تعلّمها إياه إلى شيء آخر هي أعلم به.

والمتتبع لهذه الأمثال المتضمنة في الأحاديث النبوية و المدونة في"صحيح البخاري"خاصة يتأكد من تسامي هذا اللون البديع وارتقائه فوق مراتب الفصاحة والصياغة التعبيرية.

لهذا قمنا بإلقاء الضوء على محتوى هذه الأمثال واستجلاء مكنونها وذلك وفق تداولية أفعال الكلام فيها معتمدين على الشرح والتحليل، والفحص والتمحيص لهذه الأفعال.

الفصل الثاني:

تداولية أفعال الكلام

في أمثال صحيح البخاري

تعد اللغة وسيلة من الوسائل التي يعتمد عليها الفرد لقضاء حاجياته وتنفيذ مطالبه في الوسط والمحيط الذي يعيشه به، وبها أيضا يناقش ويستفهم وينمي ثقافته كما بواسطة هذه اللغة يؤثر الفرد في الآخر، ويستثير عواطفهم ويؤثر في عقولهم كما أنها تعتبر مستودعا لتراث المجتمعات والرباط الذي يربط بين الأفراد والجسر الذي تعبر عليه الأجيال للانتقال من وضع إلى وضع آخر.

فاللغة إذن تفعل ويُفعل بها، ومن خلالها وفيها، فهي تعبر عنها على اعتبار أن الفرد مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم ظهر على حد تعبير الإمام علي كرم الله وجه كما أننا نتكلمها وتؤثر فينا كما نؤثر فيها.

فللمتكلم أن يعبر عن قصده من خلال شكل اللغة التي يستعملها مباشرة وذلك وفق ما يتطابق مع معنى الخطاب، كما يمكن أن يستعمل التلميح وبعض الأساليب غير المباشر لإيصال المعنى المرغوب ولكن باستخدام الخطاب المناسب للسياق فتنتج عنه دلالة يفهمها المتلقي.

ومن بين التقنيات التي قد يستند إليها المتكلم أثناء استعماله للغة نجد تقنية التشبيه أو التمثيل باعتبارها إستراتيجية غير مباشرة وهي حتما تستلزم قصدا يدل عليه الخطاب.

فابن وهب قد اعتبر الأمثال وسيلة من وسائل الإبانة والتوضيح حيث قال: "وأما الأمثال والقصص فإن الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشباه والأشكال ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلبا، وأقرب مذهبا ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف/ الآية 54]، وإنما فعل العلماء ذلك لأن الخبر في نفسه إذا كان ممكنا فهو يحتاج إلى ما يدل على صحته والمثل مقرون بالحجة

ولذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دونته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم، ونطقت ببعض على ألسنة الطير والوحش وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها والمقدمات مضمونة إلى نتائجها" [1].

وبما أن الحديث عملية مؤسسة على مشاركة أطراف الخطاب والأساس فيه كل من المتكلم والمستمع.

وأن نظرية أفعال الكلام قائمة على فرضية أساس مفادها أنه يقصد بالكلام تبادل المعلومات والقيام بفعل خاضع لقواعد مضبوطة في الوقت نفسه، "ويهدف هذا الفعل إلى تفسير وضعية المتلقي ونظام معتقداته ومواقفه السلوكية"[2].

وأن ما يستفاد من التشبيه أو التمثيل هو إنجاز الأفعال كلامية غير مباشرة تتضح من خلال سياق الاستعمال.

فقد ارتأينا أن يعرض في هذا الفصل جانب من جوانب التداولية وهو أفعال الكلام من خلال الأحاديث النبوية الشريفة المترامية بين طيات الجامع الصحيح "صحيح البخاري" بغية بيان أن الموروث العربي اللغوي يزخر بما جاء به الباحثون اللسانيون في ميدان اللسانيات التداولية وبخاصة في نظرية أفعال الكلام وفق تصنيف جون سيرل الذي قام بوضع تقسيم أو تصنيف أفعال الكلام أو اللغة وعدها خمسة أصناف:

* إعلانيات.

* توجيهات.

* إلزاميات.

([1]) مجلة الأثر: أشغال الملتقى الدولي تحليل الخطاب، العدد الخامسة، ص 241.

([2]) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص85.

* تعبيريات.

* اخباريات.

أولا: تصنيف ج. ر. سيرل للأفعال الكلامية.

1. الإخباريات أو التقريريات Assertives:

"وغايتها الكلامية تكمن في جعل المتكلم مسؤولا عن وجود وضع الأشياء، واتجاه المطابقة في الغرض الإخباري هو من الكلمات إلى العالم (Words to World) أما الغرض الإنجازي فيها فنقل المتكلم لواقعة ما من خلال قضية معينة وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب. وتتضمن أفعال الإيضاح"[1].

2. التوجيهات أو الأمريات أو الطلبيات Directives:

"غايتها الكلامية تكمن في حمل الشخص على القيام بفعل معين، واتجاه المطابقة في الغرض التوجيهي يكون من العالم إلى الكلمات والمسؤول عن ذلك هو المخاطب وشرط الإخلاص يتمثل في الإرادة والرغبة الصادقة، ويدخل ضمن أفعاله الإستفهام الأمر الرجاء الإستعطاف التشجيع الدعوة والإذن والنصح" [2].

([1]) الطبطبائي سيد هاشم: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، (د، ط)، 1994م، ص30. وينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص79.

([2]) بلخير عمر: تحليل الخطاب المسرحي، ص 60. وينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص71.

3. الإلتزاميات أو الوعديات: Commissives:

"وغايتها الكلامية تكمن في التزام المتكلم بفعل شيء ما" [1]. واتجاه المطابقة في الغرض الإلتزامي يكون من العالم إلى الكلمات والمسؤول عن ذلك هو المتكلم، وأفعاله تتمثل في أفعال التكييف، الوعد، التعهد، القسم..

"وشرط الإخلاص فيها يكمن في القصد أي في القيام بفعل في المستقبل للمتكلم وقدرته على أداء ما يلزم نفسه به"[2].

4. التعبيرات أو البوحيات Expressives:

"وهي الأفعال التمرسية عند أوستين وتعبر عن حالة مع شرط صدقها"[3].

واتجاه المطابقة في الغرض التعبيري هو "الاتجاه الفارغ لأن المتكلم في هذا الصنف لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي، ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر، التهنئة، الإعتذار، التعزية والترحيب"[4].

5. الإعلانيات أو الإيقاعيات Declaratives:

"تكون حين التلفظ بها. وغايتها الكلامية تكمن في إحداث تغيير عن طريق الإعلان" [5].

([1]) بوجادي خليفة: في اللسانيات التداولية، ص99.

([2]) الطبطبائي سيد هاشم: نظرية الأفعال الكلامية، ص31.

([3]) بوجادي خليفة :في اللسانيات التداولية، ص100.

([4]) نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص80.

([5]) بوجادي خليفة: في اللسانيات التداولية، ص100. وينظر: محمد بلخير: تحليل الخطاب المسرحي، ص160.

واتجاه المطابقة في الغرض الإعلاني قد يكون من الكلمات إلى العالم أو من العالم إلى الكلمات وهو اتجاه مزدوج، أما عن شرط الإخلاص فيكفي انجازها بنجاح لتحقيق المطابقة[1].

كما أنه أعتبر الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم بل هو مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي[2].

وعلى هذا الأساس فقد ظهرت على يديه نظرية منتظمة الاستعمالات للغة قائمة على أسس ممنهجة وواضحة، وبما أن تقنية التمثيل أو التشبيه تسهم في إثراء الجانب الدلالي والتداولي وتعتبر منبعا للإبداع، فقد استعمل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هذه التقنية بصيغها المختلفة التي تخرج عن حقيقتها وتتجاوز ظاهرها إلى مقاصد أخرى يرمي الحديث إلى تحقيقها مراعاة التأدب أحيانا، وفي أحيان أخرى ترهيبا وسخرية من ضلال أولئك الذين لم يستجيبوا لأوامر الله وعصوه ولم يخشوا عاقبة جهلهم أو عصيانهم وكفرهم.

فلتبليغ الرسالة الموكلة إليه عليه الصلاة والسلام اعتمد سبلا كثيرة ومختلفة باختلاف درجة وعي وإدراك وقوة التصديق لدى السامعين، فقد كانت الأحاديث النبوية في كثير من الأحيان تتراوح بين الاخبار مرة وبين التوجيه والإرشاد مرة أخرى وكذلك النصح، وإلزامية في بعض الأمور التي لا ينبغي التساهل معها وفي أخرى تعبير عن مشاعر وانفعالات عاطفية تتراوح بين الفرح والسرور، أو بين الحزن والاستياء، أو بين الوعد والتهديد والتحذير، وقد اعتمد في كل هذا على التمثيلات والتشبيهات الحسية التي تقرب الحقائق وتؤثر في نفوس السامعين.

([1]) الطبطبائي سيد هاشم: نظرية الأفعال الكلامية، ص30.

([2]) نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص47.

وفي هذا الفصل سنحاول دراسة الأمثال في الصحيح الجامع وفق تصنيفات جون سيرل وذلك بعرض نص الحديث أولا ثم تصنيف لتلك الأفعال المستعملة مع تبرير هذا الاستعمال إلى أن نصل إلى مقصدية الرسول (ص) التداولية من هذا الحديث والتقنية (التمثيل).

1. الإخباريات:

ويتضمن هذا النوع من التصنيفات مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة وهي:

الحديث الأول:

(عن عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أل الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحيانا يأتي مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيُفْصَمُ عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي المَلَكُ رجلا فيكلمني فأعي ما يقول") [1].

إن هذا الحديث يعد ضمن الإخباريات، وإذا ألقينا نظرة حول الأفعال الواردة في هذا الحديث نجدها قد غلب عليها المضارع وهي: يأتيني، يفصم، يتمثل، يكلمني، أعي، يقول، أما الماضي منها فيتمثل في الآتي: وعيت، قال.

إلا أنها خلت من الأمر وهذا ما يتطلبه الخطاب، مع العلم أن هذا التقسيم هو ما دأب عليه علماء النحو، فسيبويه يقول: "وأما الفعل فأمثلته أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع" [2].

ووجود الأفعال في نص الحديث إنما تدل على الحركة والحيوية كما أن الأفعال الماضية قد أفادت التقرير أما المضارعة منها فتفيد الحال والاستقبال إلا أن الأفعال بكل أصنافها ذات أبعاد تداولية فلها قوة متضمنة في القول كما يقول سيرل: "أي ملأ

([1]) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول الله (ص)، 2.

([2]) أبو بشر سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط3، (د، ت)، ص12.

اللفظ بقوة انجازية معينة والقوة التعبيرية هي الصيغة التي يخرج بها الكلام كأن يكون وعدا أو تهديدا أو التماسا أو تقريرا.." [1].

وهذا ما نلمسه من الأفعال الآتية: يأتيني، يفصم، يكلمني..، فالفعل القضوي يعبر هنا عن تلك الحركية التي يقوم بها الرسول الكريم (ص) من تألم وعناء وتحمل ووعي لما يحدث له أثناء بدء نزول الوحي عليه.

أما القوة المتضمنة في هذه الأفعال فهي انجاز هذه الأعمال (تألم، تحمل، ووعي) ولولا ذلك لما استطاع مواصلة تقبل الوحي ولما تمكن من تبليغ الرسالة الملقاة على عاتقه، ولَما انتشر الإسلام واتسعت رقعته في جل أنحاء المعمورة.

أما الفعل الناتج عن القول فهو ما دل على ترك أثر في الواقع، ويتجلى ذلك في محبة الرسول (ص) لله سبحانه وتعالى وخضوعه لكل أوامره وتحمل الشدائد بغية تبليغ الرسالة.

ونجد أن هذا الحديث يبين لنا كيفية بدء نزول الوحي إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وفضل تحمل رسول (ص) للألم وكل ما صاحب هذه العملية.

فاتجاه المطابقة في هذا الحديث جاء من الكلمات إلى العالم لأن هذا الصنف يتضمن التقريريات أي أن الجمل التقريرية هي الأوفر حضورا: يأتيني مثل صلصلة الجرس، فيصم علي، وقد وعيت عنه، يتمثل لي، فيكلمني، فأعي ما يقول.

ونتوصل إلى أن الغرض من هذا إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم كل قارئ ومتتبع لسيرته ولكل مسلم كيفية بدء نزول الوحي عليه، وقيمة التحلي بالصبر وتحمل الآلام والمعاناة والحالة النفسية التي أحس بها أو عاشها فهو الصادق المصدوق والمضمون فيما يرويه وهكذا تحققت المطابقة.

([1]) محمد مفتاح: الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، دار التنوير، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ص140.

فالرسول صلى الله عليه وسلم في مقام تبليغ الرسالة الموكلة إليه جاءت كل أحاديثه حاملة للبعد التداولي، فقد استعمل لكل غرض أسلوبا معينا فمن بين الأساليب التي استعان بها والتي هي محط اهتمامنا؛ التمثيل أو التشبيه ففي هذا الحديث فقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم ألم وقوة بدء نزول الوحي عليه مثل صلصلة الجرس، أي ذلك الصوت المدوي في الآذان والحالة النفسية المصاحبة لذلك أشد من الصوت نفسه، إلا أن الرسول الله عليه وسلم قد تحمل ذلك الألم كما أنه كان يعي كل ما يقال له وما يرسل إليه من آيات الذكر الحكيم، فقد تحمل ونال –نال الكرامة وشرف المنزلة الرفيعة–.

ونلخص هذا في الشكل الآتي:

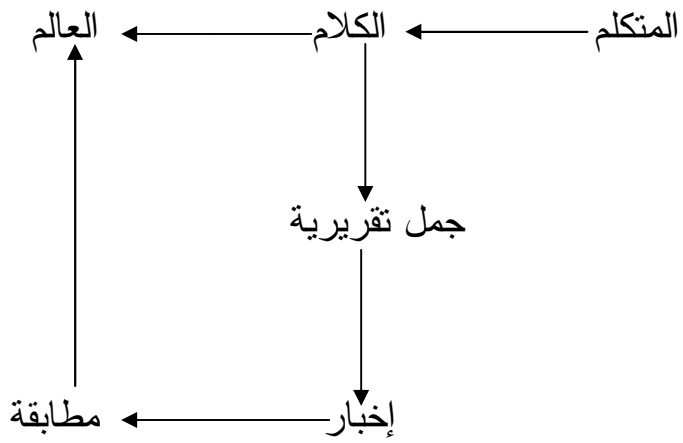

الحديث الثاني:

(حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟".

فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: "هي النخلة") [1].

الواضح لنا أن هذا الحديث ينضوي تحت صنف الإخباريات أو التأكيدات والحكميات.

وقد ورد فيه الأفعال: يسقط، حدثوني، وهي مناصفة بين المضارع والأمر، وكل من هذين الفعلين له أبعاد تداولية فالفعل المضارع يفيد الحركة أما الفعل الأمر فالاستقبال وطلب حدوث شيء.

وتنوع هذه الأفعال دلالة على التغير شأنها شأن حال الإنسان فهو في تغير دائم وكل يوم على حال، يعتقد بأشياء ويتنازل عن أخرى فهو كما شبهه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كالشجرة تسقط منها أوراق وتبقى أخرى ثابتة.

أما على مستوى الجمل فقد غلبت الجمل الخبرية التقريرية والخبر كما هو معروف عند القدماء هو الكلام المفيد أو الخطاب التواصلي الذي يقبل الصدق والكذب[2].

ونجد منها:

([1]) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا وأخبرنا وأنبأنا، 61.

([2]) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص61.

* إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها.

* إنها مثل المسلم.

* أما الإنشاء فكان: حدثوني ما هي؟.

وقد استهل الحديث بالأداة "إن" للتوكيد وذلك محاولة إقناع المتلقي أو القارئ بقضية مهمة والداعي التداولي منه هو ما يقع في نفوس الناس من الإنكار لوجود ما هو ثابت على حال واحدة في نفوس الناس على اختلاف دياناتهم.

وقد سبق أن ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن المسلم فضّله الله عز وجل وميزه على غيره ببعض الخصال والفضائل وأكد ذلك مرارا وتكرارا، فالمسلم يتحلى ببعض الخصال الثابتة التي دعا الله تعالى أولا والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ثانيا إلى التحلي بها، فمهما واجهته العراقيل يبقى متمسكا بها مثله مثل النخلة جذورها ضاربة في الأرض ورأسها باسق في السماء، وأوراقها ثابتة مهما تجاذبتها الرياح وهو الغرض الانجازي من أفعال هذا الحديث أي تقريب الحقائق بأمثلة وتشبيهات حسية فهذا أسرع وأبلغ وأقرب لتثبيت الحقيقة وتوجيه الخبر.

واتجاه المطابقة من الكلمات إلى الواقع، أما شرط الإخلاص فهو النقل الأمين بأسلوب تربوي هادف إلى تقريب الحقائق.

فقد خص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم التمثيل أو التشبيه بالنخلة لما لها من مميزات امتازت بها عن غيرها من بني فصيلتها، فهي رمز العلو والرفعة ورمز الصبر والجلد والتحدي، فاعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التشبيه ليكسب الألفاظ معاني دقيقة ويكسب، المعاني صدقا فتقع في النفوس وهو الهدف التداولي الذي دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو تبيان ثبات المسلم على دينه فما ضل من تمسك بحبل الله إضافة إلى الدعوة للتحلي بخصاله والإقتداء به.

الحديث الثالث:

(حدثنا محمد بن العلاء قال: حدثنا حماد بن أسامة، عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة، عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَثَل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كَمَثَل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مَثَل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وعَلّمَ ومَثَل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به") [1].

إن هذا الحديث يعد ضمن أو تحت صنف أو تصنيف الإخباريات كذلك والذي يعد من شروطه استحضار المتكلم لشواهد تبرهن صدق ما يقره لهذا نجد الحديث يحفل بالأفعال التي تجعله ينبض بالحركة والحيوية ومن خلالها يتحقق الهدف التواصلي والمطلب التداولي.

فقد غلب على هذه الأفعال الفعل الماضي وهذا تماشيا والسرد القصصي، ومن هذه الأفعال نجد ما يلي: بعثني، أصاب، كان، قبلت، أنبتت، أمسكت، نفع، شربوا، سقوا، زرعوا، أصابت، فقه، نفعه، بعثني، علم.

أما المضارع منها فتجد: تمسك، تنبت، يرفع، يقبل..

فتعاقب الأفعال التقريرية بهذا الحال جاء لغرض تداولي يفيد أو يساعد على ربط الأحداث وتسلسلها وذلك للفهم الجيد لنص الحديث.

أما على مستوى الجمل فقد جاءت خبرية تقريرية بغرض إفادة المخاطب بما تضمنته وقد عد سيرل الخبر هو الغرض المتضمن في القول.

([1]) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب فضل من عَلِمَ وعَلَمَ، 79.

والغرض الإنجازي لأفعال هذا الحديث هو تقريب الحقائق في الغالب وذلك باعتماد أسلوب التمثيل أو التشبيه بما هو محسوس.

فقد تكلم الرسول صلى الله عليه وسلم في نص هذا الحديث عن فضل الهدى والعلم فالذي يكتسب وكأنه الغيث الكثير الذي ينتفع به في كل الأحوال فالعلم كذلك لما له من فوائد ولولا ذلك لما دعى إليه الله عز وجل وكانت أولى الآيات التي نزلت على خير وسيد المرسلين تدعوه إلى القراءة والكتابة فقد جاء في ذكر العزيز الحكيم قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [1].

أما عن اتجاه المطابقة هنا في هذا الحديث من الكلمات إلى الواقع وشرط الإخلاص هو النقل الأمين بأسلوب تربوي هادف.

([1]) سورة العلق: الآيات 1-5.

الحديث الرابع:

(حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنّما قرّب بَدنةً، ومن راح في الساعة الثانية فكأنّما قرّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنّما قرّب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنّما قرّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنّما قرّب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر") [1].

يندرج هذا الحديث ضمن الاخباريات فنجد فيه من الأفعال إذا ما ألقينا نظرة على نص الحديث أغلبها جاءت بصيغة الماضي فنجد ما يلي: اغتسل، راح (5مرات)، قرب (5 مرات)، خرج، حضرت، أما من صيغة المضارع نجد يستمعون.

ومن الملاحظ على هذه الأفعال المضي وهو الزمن الملائم للسرد أو القص.

أما على مستوى الجمل فقد غلب عليها في نص الحديث معنى الإخبار، والذي غرضه التداولي تفعيل الخطاب وتسريع عملية التفاعل بين عنصري أو طرفي العملية التواصلية، ونجد ما يلي:

* فمن اغسل يوم الجمعة ثم راح فكأنما قرب بدنة.

* ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة.

* ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا.

* ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة.

* ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة.

([1]) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، 881.

فقد اعتمد استعمال أداة الشرط "من" التي تستعمل للعاقل وهي تفيد تحقيق جواب الشرط لوجود فعل الشرط ولا تدخل إلى على الفعل[1].

والملاحظة كذلك على نص الحديث استعانته بالتمثيل مع الترتيب في ذكر المشبه به طبعا توافقا مع المشبه، والغرض من هذا الترتيب المنسجم والمتناسق هو تبيان وإخبار السامع والمتلقي فضل الاستماع إلى خطبة الجمعة والاستعداد لها.

فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في نص هذا الحديث يتحدث عن فضل الجمعة ومالها من أجر فكلما تأخر المصلي كلما نقص وقل أجره، فالرغبة والإرادة هما دافع المصلي لحضور الخطبة فهي جوهر صلاة الجمعة.

فعلى الإنسان أن يتجه إلى ربه بالطاعة والعبادة وأداء كل الفرائض لأن فيها أجرا وثوابا من رب العباد يوم تجزى كل نفس بما عملت.

والغرض التداولي من هذا الحديث هو دعوة المسلم أو المصلي وحثه على حضور خطبة صلاة الجمعة وبيان مالها من فضل لهذا جاء الخطاب في نظام منسجم ومحكم ليؤثر في العالم.

وبالتالي دفعه إلى تغيير سلوكه وفق المواقف المذكورة في النص فالانتقال من الأكبر والأعظم إلى الأصغر والأقل درجة في العظمة له هدف وغاية تربوية.

أما اتجاه المطابقة في هذا الحديث من الكلمات إلى العالم والغرض الإنجازي من هو حمل أو حث النفس أو المصلي إلى إخلاص النية في عبادة الله تعالى ودفعه إلى إتمام واتقان هذه العبادة والقيام بكل أركانها.

([1]) صالح بلعيد: النحو الوظيفي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص92.

الحديث الخامس:

(حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب حدثنا حذيفة: قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين: رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة وحدثنا عن رفعها قال: "ينام الرجل النومة فتُقْبَض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوَكْتِ، ثم ينام النومة فتُقْبَض فيبقى فيها أثرها مثل أثر المَجْلِ كجَمْرٍ دحرجته على رجلك فنَفِطَ فتراه منتبرا وليس فيه شيء ويصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيقال: إن في بني فلان رجلا أمينا ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجْلَدَهُ وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان") [1].

إن نص الحديث هذا الذي بين أيدينا من صنف الإخباريات.

فنجد فيه أفعالا بصيغة الماضي ما يلي: درجته، نفط، والذي يفيد الإخبار والتقرير وبصيغة المضارع فنجد: ينام (2 مرتين)، تقبض (2 مرتين)، يظل، يبقى، تراه، يصبح، يتبايعون، يكاد، يؤدي.

أما إذا تأملنا النص هذا الحديث على مستوى الجمل فنجدها تراوحت بين الجمل الخبرية التقريرية والإنشائية وورودها قليل مقارنة بقرينتها.

فنجد منها: التعجب في كل من: ما أعقله، ما أظرفه، ما أجلده.

أما عن الجمل الخبرية فأغلب الجمل تقريرية من مثل:

* ينام الرجل النومة.

* تقبض الأمانة من قلبه.

([1]) صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب إذا بقي في حثالة من الناس، 7086.

* يبقى فيها أثرها.

* تراه منتبرا.

* يصبح الناس يتبايعون.

* فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة.

والملاحظ كذلك على نص الحديث ورود بعض الأفعال بصيغة المبني للمجهول مثل: تقبض (2 مرتين)، يقال، وذلك لعدم الاهتمام بالفاعل أو القائم بالفعل ومصدر القول أو الخبر، وإنما المهم هو الفعل والخطاب الذي بعده، فالمهم في الفعل الأول هو رفع الأمانة وفي الفعل الثاني مضمون الخبر، وهذا لأن الفاعل ليس لب الحديث.

أما عن استعماله لأسم الفاعل "منتبرا" فهو دال على دوام الحال، ومن المعلوم أن أساليب الإخبار غرضها إفادة المخاطب بما تضمنته، ولتقريب الحقائق من المخاطب وتثبيتها في نفسه استعان ببعض أساليب التشبيه أو التمثيل لتكون أكثر تأثير في نفوس السامعين وفي توجيهها للخبر.

أما عن اتجاه المطابقة فهو من الكلمات إلى العالم وشرط الإخلاص هو النقل الأمين بأسلوب هادف.

الحديث السادس:

(حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نِعالهم الشعر، وحتى تُقاتلوا التُرْك صغار الأعين حُمْرَ الوجوه ذُلف الأنوف كأن وجوههم المَجانَّ المطرقة") [1].

إذ ما أمعنا في النظر في نص الحديث نجد أنه من الإخباريات.

أما الأفعال التي سبحت في فلكه فهي من صيغة المضارع ونجد منها: تقوم، تقاتلوا (2 مرتين).

أما على مستوى الجمل فنجد من الخبر ما يلي:

* النفي: لا تقوم الساعة.

* الاستثناء قوله: حتى تقاتلوا قوما..

* حتى تقاتلوا الترك.

على اعتبار أن "حتى" قد تأتي بمعنى الاستثناء فتكون مرادفة لـــ "إلا" [2].

فالرسول صلى الله عليه وسلم من خلال خطابه هذا ينفي قيام الساعة إلا إذا قوتل القوم الذين لهم صفات ومميزات خاصة بهم تتمثل في أن نعالهم الشعر وقوتل كذلك الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف وقد شبههم "بالمجانّ".

([1]) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، 3587.

([2]) علي جاسم سليمان: موسوعة معاني الحروف العربية، ص97.

ومن الملاحظ على هذا الأسلوب ذكر العموم ثم التفصيل فيه، وهو أسلوب يدفع بالملتقى أو السامع إلى الإمعان في النظر في احتمالات عدم قيام الساعة، ثم ما هي الأقوام التي طلب محاربتها ومقاتلتها.

والرسول صلى الله عليه وسلم يسعى من خلال نص هذا الحديث إلى إفادة المخاطب أن قيام الساعة مرتبط بمحاربة ومقاتلة أعداء الله، وهو الهدف التداولي الذي يسعى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إبلاغه من هذا الحديث.

والغرض الإنجازي يتمثل في تقريب الحقائق وتثبيتها في نفوس السامعين.

أما عن اتجاه المطابقة فمن الكلمات إلى الواقع، وشرط الإخلاص فيها في النقل الأمين بأسلوب تربوي هادف.

الحديث السابع:

(حدثنا آدم شعبة قال وحدثنا عمرو أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَمَلَ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثَريدْ على سائر الطعام") [1].

نجد في نص هذا الحديث سيطرة للاسم وهو الدال على الثبوت والسكون.

أما من الأفعال التي تضمنها هذا النص نجد من صيغة الماضي: كمل ومن صيغة المضارع: يكمل.

وإذا انتقلنا إلى الجمل نجد أغلبها جملا خبرية تقريرية وهي على ما يلي:

* كمل من الرجال كثير.

* لم يكمل من النساء.

* فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام.

* إلا مريم بنت عمران.

* وآسية امرأة فرعون وهي جملة معطوفة على سابقتها.

وكثرة الجمل الخبرية يتماشى والغرض التداولي الذي يسعى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إفادتنا به، وهو تكريم السيدة عائشة وتبيان المنزلة الرفيعة التي تحتلها بين النساء.

([1]) البخاري(ابو الفضل جمال الدين بن مكرم) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب عائشة رضي الله عنها، 3769.

فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عمد في نص الحديث إلى أسلوب الإجمال وبعده التفصيل، فالملتقي لقوله: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء" يتبادر إلى ذهنه أن صفة الكمال لا تختص بالنساء فقد أخرجهم من هذه الدائرة، وبعد الاستثناء تتضح الفكرة وتتجلى للسامع أو الملتقي أن من النساء من كملت فبعدها ننتظر ونضع احتمالات مختلفة من أسماء للنساء اللواتي قد تكن في هذه الدائرة.

ثم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم كل من مريم بنت عمران، وامرأة فرعون آسية فيتبادر إلى أذهاننا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر من أهل بيته لأنهن لم يتحلين بهذه الخاصية، أم لأنهن أعلى وأرقى من ذلك، بعدها يردف حديثه بذكر فضل عائشة على النساء، فشبهها بفضل الثريد على بقية الطعام لما لها من سمات ومميزات خاصة بها تجعلها ذات فضل على البقية.

فأسلوب التسلسل والاسترسال، والتفصيل والشرح بعد الإجمال ساعدا على إضفاء طابع التشويق لدى المتلقي وبالتالي دفعه إلى حركية الفكر وهذه الخاصية أو الأسلوب وسيلة تداولية تهدف إلى غايات تربوية.

واتجاه المطابقة في هذا الحديث من الكلمات إلى العالم، والغرض الإنجازي منه هو دعوة إلى معرفة فضل السيدة عائشة على النساء مهما كَمَلْنَ.

الحديث الثامن:

(حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبي عن هلال عن عبد الرحمان بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا تباغض بينهم ولا تحاسد لكل امرئ زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم") [1].

إذا ما ألقينا نظرة حول نص الحديث فقد قل وجود الفعل فما ورد منها على صيغة المضارع: تدخل، يرى، وهو دال على الثبوت ودوام الحال، وهذا يتناسب والمقام فصفة الجنة وأهلها ثابت ورد في كثير من الأحاديث وفي كثير من الكتب على لسان خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم.

أما على مستوى الجمل فنجدها خبرية تقريرية، تتوافق وتقرير الحقائق فنجد:

* أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر.

* قلوبهم على قلب رجل واحد.

* لكل امرئ زوجتان من الحور العين.

* يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم.

* النفي: لا تباغض، لا تحاسد.

([1])البخاري، صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، 3254.

يتحدث سيد المرسلين وخير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم عن أول مجموعة تدخل الجنة والصفات التي تتحلى بها دون غيرها من الفئات الأخرى، فالنور يشع من قلوبهم باد على وجوههم كأنهم كوكب دري مشع ينير السماء.

تربطهم المودة والرحمة والتآلف بينهم، فالمسلم أخو المسلم لا يبغضه ولا يحسده.

وقد اعتمد الرسول الكريم أسلوب الإغراء في نص الحديث، بأن جعل الله تعالى لكل امرئ زوجتان من الحور العين، وفي هذا حث للقيام بما يرضي الله تعالى لنيل الجنة والتمتع بنعيمها.

أما عن اتجاه المطابقة في هذا الحديث من الكلمات إلى العالم.

وشرط الإخلاص يكمن في النقل الأمين بأسلوب هادف إلى تقريب الحقيقة بتمثيل حسي وهذا هو الغرض الانجازي من أفعال نص الحديث.

الحديث التاسع:

(حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة حدثنا أنس عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل الذي لا يقرأ كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها") [1].

نص الحديث هذا يكاد يخلو من الأفعال إلا ما جاء في الفعل يقرأ على صيغة المضارع وهذا دال على الثبوت ودوال الحال لأن الاسم هو الطاغي على النص.

أما على مستوى الجمل فيغلب عليها الطابع الاخباري التقريري المناسب لغرض تقرير الحقائق فنجد:

* المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة.

* الفاجر الذي يقرأ القرآن كالريحانة.

والملاحظ على نص الحديث استعمال التشبيهات الحسية والتي غرضها التداولي تقريب الحقائق، وتثبيتها في نفوس السامعين.

فالرسول صلى الله عليه وسلم استعان بأسلوب التدرج والترتيب كذلك في الشرح والتمثيل فذكر أن المؤمن الذي يقرأ يشبه الأترجة والذي لا يقرأ القرآن يشبه التمرة، وأما الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة والذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة.

([1])البخاري، صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم، 7560.

وشرح هذه الفئات بإعطاء تشبيهات حسية، أسلوب تربوي غرضه تقريب الحقائق وإفادة السامع بالخبر لأن ذلك أكثر تأثير وأسرعه وأبلغه في نفوس السامعين.

واتجاه المطابقة هنا من الكلمات إلى الواقع وشرط الإخلاص يكمن في النقل الأمين بأسلوب واضح وجلي وهادف يبين فضل قراءة القرآن واختلاف القراءة من مؤمن إلى فاجر.

الحديث العاشر:

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلاّ وضعت هذه اللبنة" قال: "فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" [1].

إذا أمعنا في النظر في نص هذا الحديث نجد أغلب الأفعال على صيغة الماضي المتمثل في: بنى، أحسنه، أجمله، جعل، وضعت، قال، ومن المضارع نجد: يطوفون، يعجبون، يقولون.

وقد أفادت الأفعال الماضية التقرير والمضارعة الحال والاستقبال، وكل فعل من هذه الأفعال حامل لقوة انجازية معينة.

أما على مستوى الجمل فنجد أغلبها جملا تقريرية اخبارية تتمثل في:

* رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله.

* جعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون.

أما الإنشاء فتتمثل فيما يلي:

* "هلا وضعت هذه اللبنة" وهو أسلوب عرض وتحضيض، أي طلب برفق ولين.

وقد استعان الرسول صلى الله عليه وسلم في وصف الأنبياء بتشبيه وتمثيل حسي لتقرب الحقيقة وتثبت في النفوس، فجعل مرتبتهم مرتبة الأساس والركيزة.

([1]) البخاري،صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، 3535.

ثم أردف هذا القول بقول آخر أعلن فيه أنه اللبنة وأنه خاتم النبيين وهذا فضل من رب العباد أن جعل من قريش خاتما للرسل والأنبياء.

فاتجاه المطابقة في هذا الحديث من الكلمات إلى الواقع، وشرط الإخلاص يكمن في النقل الأمين بأسلوب تربوي هادف، وقد سبق للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم استعمال هذا الأسلوب في كثير من المواقف الداعية لذلك.

الحديث الحادي عشر:

(حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مثل المؤمن كمثل خامة الزرع يفيء ورقه من حيث أتتها الريح تكفئها فإن سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء") [1].

إذا ألقينا نظرة حول أفعال نص الحديث هذا نجد منها على صيغة الماضي ما يلي: أتتها، سكنت، اعتدلت، شاء، ومنها على صيغة المضارع: يفيء، تكفئها، يكفأ، يقصمها.

وورود الأفعال التقريرية بهذا الترتيب له غرض تداولي فهي تساعد في ربط الأحداث وفهمها فهما جيدا.

أما على مستوى الجمل فهي جمل تقريرية خبرية لتفيد المخاطب بما تضمنته فنجد منها:

* المؤمن كمثل خامة الزرع.

* يفيء ورقه.

* المؤمن يكفأ بالبلاء.

* الكافر كمثل الأرزة الصماء...

* فإن سكنت اعتدلت.

([1]) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، 7466.

ومن الملاحظ على نص الحديث اعتماد أسلوب التشبيه أو التمثيل ليقرب الحقائق ويؤثر في نفوس السامعين واستمالة عقولهم، وبالتالي التفريق بين المؤمن والكافر وهذا ما يمثل الغرض الانجازي لأفعال نص هذا الحديث.

واتجاه المطابقة هنا من الكلمات إلى الواقع وشرط الإخلاص مرتبط بالنقل الأمين في قالب تربوي.

الحديث الثاني عشر:

(حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة") [1].

ورد في نص هذا الحديث من الأفعال ما جاء على صيغة الماضي: توكل، ومن المضارع: يجاهد، يتوفاه، يدخله، يرجعه.

أما على مستوى الجمل فقد كانت جملا خبرية تقريرية تتناسب وغرض التقرير للحقائق فنجد منها:

* مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم.

* توكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه...

ونجد في نص الحديث اسم الفاعل في قوله: "الصائم، القائم" وهذه الصيغة لها دلالة دوام الحال [2].

([1]) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، 2787.

([2]) فان دايك: النص والسياق، ص 229.

مع العلم أن صيغة "قائم صائم" مشتقة من الفعل المبني للمعلوم على وزن "فاعل" وهي صيغة مرتبطة بمعنى متجدد بتجدد الزمن في اللفظة.

فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في نص الحديث هذا يتحدث عن أفضل الناس عند الله عز وجل وهو المجاهد الذي يجاهد بماله وبنفسه في سبيل الله وحده دون ابتغاء الأجر من الناس، وشبهه بالصائم والقائم فأعمال كل منهم خالصة لوجه الله الكريم عز وجل، وقد جعل لأفضل الناس جزاء الجنة أو السلامة، مع الأجر والثواب، ففي كلتا الحالتين هو فائز بكرم وعطاء رب العباد.

والغرض الانجازي لهذه الأفعال هو تقريب الحقائق من خلال استعمال تقنية التشبيه أو التمثيل ومحاولة التأثير في نفوس السامعين وتوجيههم، ودعوة للإخلاص في العمل من صيام أو قيام أو جهاد، واتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص هو النقل الأمين للحقائق.

2. التوجيهات (الأنريات):

الحديث الأول:

(حدثنا مسدد قال: حدثنا يحي عن إسماعيل حدثنا قيس قال لي جرير بن عبد الله: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: "أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون أو تضاهون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غربها فأفعلوا"

ثم قال: "فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها") [1].

مما ارتأينا إدراجه كذلك في التوجيهات أو الأمريات هذا الحديث وذلك حسب تصنيف سيرل وغرض هذا النوع ويتمثل في محاولة المتكلم توجيه المستمع للقيام بأمر ما.

لهذا في الحديث أفعال تضمنت معنى التوجيه أو النصح والإرشاد فنجد من الأفعال المضارعة: سترون، ترون، تضامون، تضاهون، تغلبوا، ونجد الأمر في قوله: فافعلوا أي قوموا لأداء الصلاة في هذا الوقت فالأمر موجه إلى كل مصل لينفذ تعاليم هذا الحديث، ولكل شخص راغب في رؤية الله عز وجل.

فالمتكلم هنا وجه خطابا فحواه أما إنكم سترون ربكم... فإن استطعتم أن لا تغلبوا.. فافعلوا والهدف رغبة المرسل في انجاز فعل موجه إلى المرسل إليه لتنفيذه.

لذلك نلاحظ أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد استهل حديثه بحرف من حروف المعاني ألا هو حرف "أما" والذي يفيد التنبيه والاستفتاح، مع أنه يكون في

(1) صحيح البخاري: كتاب مواقيت باب فضل صلاة الفجر، 573.

الكلام كالحرف الزائد فتكون "أما" هذه تنبيها وافتتاحا للكلام وتدخل على الكلام المكتفي بنفسه[1].

وقد استعان بهذا الأسلوب لتنبيه السامع أنه بإمكانه أن يرى الله عز وجل كما يرى القمر ليلة البدر أي ليلة كماله وتمامه، وذلك ترغيبا لهم –للعباد– لأداء صلاة الفجر، وللفت السامع إلى الشيء المراد الإفصاح عنه وتأكيد أهميته أردف حرف التنبيه بأداة التوكيد "إن" لتبيان وتعظيم أهمية ما سيقول.

وأما عن جمل الحديث فقد تراوحت بين الخبرية والإنشائية تماشيا والمقام مقام الوعظ والإرشاد فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يولي أمته الاهتمام البالغ فيعظهم ويرشدهم إلى سبل نيل مرضاة الله تعالى عز وجل والدرجة الرفيعة التي تتمثل في رؤيته عز وجل.

وقد جاء من لأساليب الإنشائية ما يلي:

* النهي: لا تضامون أو تضاهون، لا تغلبوا.

* التوكيد: إنكم سترون ربكم.

* الأمر: فافعلوا.

والعرض والتحضيض في قوله: "أما إنكم سترون ربكم" وأما هنا تفيد معنى العرض وهو طلب فيه لين ورفق من خلاله يتم استمالة قلوب المستمعين فتنقاد طائعة لتلقي الرسالة لأن في العرض السامع يستفيد من مضمون الطلب[2].

([1]) فائزة بنت عمر المؤيد: حروف المعاني المركبة وأثر التركيب فيها، أستاذ النحو والصرف بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب للبنات، دمام، ص2.

([2]) رزقي حورية: الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، ص140.

أما عن الغرض الإنجازي من هذا الحديث فالمراد منه تبيان أهمية الصلاة وخاصة وقت الفجر لذلك عمد رسول الله في خطابه إلى ربط عدم التهاون في القيام للصلاة في هذه الأوقات برؤية الله عز وجل وعن اتجاه المطابقة في هذه الأفعال فمن العالم إلى الكلمات، وتكمن قوة الفعل الكلامي في استعمال التوكيد والشرط إضافة إلى أسلوب العرض، فبهذه الأساليب بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم الرسالة وهي الدعوة لإرشاد وتوجيه الناس إلى فضل صلاة الفجر.

الحديث الثاني:

(حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا خيثمة حدثنا سويد بن غفلة قال علي رضي الله عنه وأرضاه إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا والله لأن أخِرّ من السماء أحب إلي من أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "سيخرج قوم من آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية لا يُجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فأقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة") [1].

إن هذا الحديث من صنف التوجيهيات على حد تصنيف سيرل.

فقد حفل هذا الحديث بالأفعال فنجد من صيغة الماضي: قتل، لقيتموهم، أما من صيغة المضارع: سيخرج وهي للإستقبال، يقولون، يمرقون، يمرق.

أما الأمر فتمثل في "أقتلوهم".

واختلاف الأزمنة في نص هذا الحديث يضفي عليه الحركة الحيوية.

أما على مستوى الجمل فنجد من الجمل الخبرية أو التقريرية:

* سيخرج قوم من آخر الزمان.

* يقولون من خير قول البرية.

* يمرقون من الدين كما يمرق السهم.

أما الجمل الإنشائية فنجد:

* الأمر في اقتلوهم.

([1]) صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحُجة عليهم، 6930.

كما نجد في نص هذا الحديث استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم لأسلوب التوكيد: فكان بالأداة "إن" المشددة وذلك تأكيد للأمر أي لقتل هؤلاء القوم ألا وهم الملحدون والخوارج مع تشجيع القتل مقابل الأجر والثواب من رب العباد يوم القيامة.

ونجد كذلك الرسول صلى الله عليه وسلم اتبع أسلوب الترتيب فابتدأ نص الحديث بقول عام أنه "سيخرج قوم من آخر الزمان" ثم أخذ يشرح ويفصل ويعطي مواصفات لهؤلاء القوم، ولهذا التدرج أو الترتيب بعد تداولي يتمثل في محاولة إقناع السامع وحمله على القيام بصفة القتل وذلك وفقا لإرادته واقتناعه طبعا بعد إقامة الحجة عليهم.

أما اتجاه المطابقة في هذا الحديث فمن العالم إلى الكلمات.

وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لتحقيق الغرض الإنجازي من الحديث أسلوب التمثيل أو التشبيه بمعنى أنه شبه هؤلاء القوم الخوارج والملحدين في عدم انصياعهم لأوامر الله تعالى بل نكران الرسالة المحمدية وكل ما جاء من الذكر الحكيم، وفي تلاعبهم بما جاء به خير البرية بالسهم الذي يخرج من الرمية بكل سهولة وبساطة، لذلك ختم حديثه عليه الصلاة والسلم بتأكيد عقوبة القتل مقابل الأجر والثواب للقائم بالحدّ.

الحديث الثالث:

(عن ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تشربوا واحدا كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسموا إذا أنتم شربتم واحمدوا إذا أنتم رفعتم") [1].

وقد ارتأينا أن ندرج نص هذا الحديث ضمن صنف التوجيهات.

وإذا ما لاحظنا الأفعال التي يحفل بها نص هذا الحديث من المضارع: تشربوا، شربتم، رفعتم، ومن الأمر نجد كذلك: اشربوا، احمدوا، سموا.

أما إذا ألقينا نظرة حول جمل نص هذا الحديث نجدها على قلتها جملا إنشائية تمثلت فيما يلي:

* النهي في قوله: "لا تشربوا واحدا" والنهي هنا فيه طلب الكف عن شرب البعير، بعدها مباشرة أتبع الجملة بجملة قدم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فيها الطريقة المثلى والصحيحة أثناء الشرب أي التنفس مرتين أو ثلاث أثناءه.

* الأمر في قوله:

* اشربوا مثنى وثلاث.

* سموا إذا أنتم شربتم.

* احمدوا إذا أنتم رفعتم.

وفيه توجيه ونصح وإرشاد لما فيه من صالح أخلاقيا من عدم التشبه بالحيوانات واعتماد بعض سلوكاتهم وصحيا لما فيه أمراض ومخاطر قد تصيب الإنسان نتيجة لوجود الجرائم في النَفَسِ.

([1]) صحيح البخاري: كتاب الأشربة، باب الشرب بنفسين أو ثلاث، 683.

فالرسول صلى الله عليه وسلم في نص الحديث ينهانا عن الشرب على طريقة الحيوان وإكراما لبنى البشر أمرنا بتغيير الطريقة وعدم التشبيه به وإنما الإقتداء بسيد المرسلين وخير خلق الله صلى الله عليه وسلم والشرب على طريقته.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن طريقته في الشرب، فقد كان يفصل الإناء عن فمه مرتين ويتنفس في كل مرة مع الابتداء بالتسمية والانتهاء بحمد الله عز وجل على النعمة.

واتجاه المطابقة في هذا الحديث من العالم إلى الكلمات، أما عن الهدف التداولي منه فدعوة إلى الحفاظ على الصحة والاعتناء بها كي لا يصيبها الضر فلا تتخاذل النفس في عبادة الله وعليها القيام بواجبها اتجاه رب العباد رغبة وطمعا في الأجر والثواب.

الحديث الرابع:

(حدثنا يحي بن صالح حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها" فقالوا: "يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟" قال: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة") [1].

تضمن نص هذا الحديث أزمنة الفعل المختلفة، فنجد على صيغة الماضي: قال، قالوا، آمن، أقام، صام، جاهد، جلس، ولد، أعدها، سألتم، أراه، وعلى صيغة المضارع نجد: نبشر، تفجر، وعلى صيغة الأمر نجد: فاسألوه.

أما على مستوى الجمل فنجد منها ما يلي:

* "من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان، يدخله الله الجنة" وقد بدأ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم نص الحديث بقوله في الشرط "من آمن بالله" لأن أمر الإيمان يفوق كل الأمور الأخرى، والإيمان به أولى الأشياء التي يدخل بها الشخص ويعتنق الدين الإسلامي، وبه كذلك ننجز الأعمال والأفعال التي تدخل الجنة من صيام وقيام وجهاد وغيرها من الأعمال التي لها الأجر والثواب من الله عز وجل.

* ثم "إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس": وقد كان الجواب مباشرة، وهو أمر غرضه التوجيه والإرشاد أي أن السؤال يكون من الله عز وجل وحده لا شريك له، فالمؤمن إذا

(1) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، 6790.

سأل يسأل الفردوس لأنها درجة من الدرجات الجنة أعدها الله تعالى لعباده المجاهدين فوقها مباشرة عرش الرحمان وذلك لفضل المجاهد في سبيله.

* النداء: "يا رسول الله" والنداء للرسول صلى الله عليه وسلم بالأداة "يا" ليس لبعده وإنما لتجيب ذكره ومناداته.

* الاستفهام: "أفلا نبشر الناس؟" سؤال غرضه طلب المعرفة وإدراكها، أما في قوله صلى الله عليه وسلم الثاني فقد استهله بالأداة "إنّ" ذات النون الثقيلة لتوكيد ما جاء في القول الأول وتثبيت الحقيقة، والتأكيد يستعمل التثبيت الشيء في نفس المخاطب [1].

ومن بين الأساليب الملاحظة كذلك على نص الحديث: ذكر المجمل بعدها التفصيل فيه، ونجد ذلك في: من آمن بالله، وبرسوله، أقام الصلاة، صام رمضان، يدخله الجنة، ففي هذا الترتيب والتدرج غاية تداولية هي إضفاء عنصر التشويق على السامع وبالتالي الإمعان فيما سيأتي من القول ونجد كذلك أسلوب أو تقنية التشبيه أو التمثيل في قوله "كما بين السماء والأرض".

وفيه غاية تداولية كذلك تتمثل في أراء السامع والمؤمن بالجهاد لما به من فضل، فالله تعالى أعد للمجاهد في سبيله مائة درجة، بين الدرجة والأخرى ما بين السماء والأرض" وفي هذا سعة وعظمة لأجر المجاهد في سبيل الله.

وفي أسلوب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من شرح وتأكيد وإغراء، تمثيل نوع من إرشاد الناس وتوجيههم إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، لما له من فضل عند رب العباد وقد خص لهم الفردوس المنزلة التي تقع تحت عرشه سبحانه وتعالى.

واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من العالم إلى الكلمات.

([1]) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 206.

وتكمن قوة الفعل الكلامي في أسلوب الشرط الواردة في نص الحديث، وفيها حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة ودعوة المسلم وإرشاده وتوجيهه، وكل فعل انجازي له غاية تداولية، تتمثل في حث الناس على الإيمان بالله ورسوله وإقامة الصلاة وصيام رمضان والجهاد في سبيله مع إغرائهم بفضل هذا الأخير.

وبلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم واضحة في أسلوبه التربوي التوجيهي الهادف.

3. الوعديات (الالتزاميات):

الحديث الأول:

(حدثنا احمد بن عبد الله بن علي المنجوفي قال: حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن ومحمد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اتبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلى عليها ويُفْرَغْ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقراطين كل قيراط مثل أُحُدٍ ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط") [1].

يعدّ هذا الحديث الذي بين أيدينا ضمن صنف الوعديات وكان من أفعاله المضارع المتمثل في كل من: يصلي، يفرغ، يَرجع، يرجع، تدفن، أما من الماضي فكان: اتبع، صلى، رجع، كان، فقد تراوحت أفعال هذا الحديث بين الماضي الهادف للإخبار والتقرير، والمضارع الهادف للحركة والحيوية.

أما على مستوى الجمل فقد تضمن الحديث جمل الشرط المتمثلة في:

* من اتبع جنازة مسلم... فإنه يرجع من الأجر بقراطين

* ومن صلى عليها ثم رجع... فإنه يرجع بقيراط.

فأسلوب الشرط المستعمل في هذا الخطاب حضوره يستدعي حضور البعد التداولي، وذلك من خلال وجود شرط العمل وجوابه المتمثل في الثواب الذي يستلزمه القيام بهذا العمل.

وقد تسلسل الحديث أو الرسول الكريم في هذا الحديث في ترسيخ معنى الثواب وان إتباع الجنائز –جنائز المسلمين– من الإيمان ويُرغب الناس في القيام بهذا العمل،

([1]) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إتباع الجنائز من الإيمان، 47.

ويحببه إلى قلوبهم فاستعان بتقنية التمثيل أو التشبيه، فشبه من اتبع الجنازة إيمانا واحتسابا وبقي حتى يُفرغ من دفنها أن له أجرا يتمثل في قيراطين كل قيراط مثل أُحُد، وما أدراك ما وزن أحد.

هذا ما أغرى به الله تعالى عباده للإقبال على هذا العمل واعتمد في ذلك على التشبيه كوسيلة من وسائل الإقناع للوصول وبلوغ الهدف المنشود الذي يطمح إليه العباد ألا وهو الجزاء والعطاء من رب العباد.

أما عن الجمل الشرطية فقد جاءت مقرونة بجمل الجواب بهذا التسلسل وهذا ما يتطلبه الخطاب وذلك لإقناعهم بتعجيل الثواب والجزاء.

وعن اتجاه المطابقة فقد كان من العالم إلى الكلمات والمحتوي القضوي تمثل في الالتزام بالثواب في المستقبل أي أن الثواب والجزاء يكون بالأجر فكل إنسان يجازى بقدر عمله.

أما عن الغرض التداولي الذي أنجزه الحديث فهو حث وتحريض العباد على إتباع الجنائز وخاصة جنائز المسلمين لأن هذا من الإيمان والقيام بمثل هذه الأعمال يساهم في توحيد صفوف المسلمين، ويدعم روابط المحبة بينهم ضف إلى ذلك جزاء من عند الله تعالى.

الحديث الثاني:

(حدثنا أبو نعيم، حدثنا زكرياء، عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشتبهات استبرأ بدينه وعرضه، ومن وقع في المشتبهات كراع يرعى حول الحِمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه مَحارِمُهُ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب") [1].

وهذا الحديث الذي بين أيدينا يمكن تصنيفه ضمن الوعديات أو الإلتزاميات، وكان من أفعاله من الماضي ما نجد: اتقى، استبرأ، وقع، صلح، فسد، أما من المضارع فنجد: يعلمها، يرعى، يوشك، بواقعه.

وعن جمل الحديث فقد غلبت الجمل الشرطية ونجد منها:

*- من اتقى المشتبهات استبرأ لدينه وعرضه.

* من وقع في الشبهات كراع يرعى...

* إذا صلحت صلح الجسد كله

* إذا فسدت فسد الجسد كله.

ومن الملاحظ كذلك على نص هذا الحديث أنه قد ابتدأ بقاعدة عامة وهي كون الحلال والحرام بيّنان، صرح بوجود أمور متشابهة في حكمها فيشكل على الناس معرفة ما إن كانت حلال أم حرام، مع أن الحلال ما انتفى العلم والظن بتحريمه

(1) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، فضل من استبرأ لدينه، 52.

والحرام فما أكد العلم ولم يتردد في تحريمه، أما عن المتشابه فليس بحلال ولا بحرام وإنما تركه من الورع مطلوب.

وقد أفصح بعض العلماء أن المكروه من قبيل الجائز إلا أن في تركه ثوابا.

أما عن حضور الشرط فهذا فيه حضور تداولي من خلال الانسجام مع الواقع لذلك شبه الواقع في الشبهات كالراعي الذي يرعى حول الحمى والحمي في اللغة: "هي الشيء المحمي ويقال لفلان حمى لا يقرب"[1].

وعن أسلوب الشرط ففيه ربط العمل بجوابه وهو فعل إخباري لمجازاة الله عز وجل عبده بتبرأة دينه وعرضه.

كما أننا نجد نص الحديث يتسلسل في شرح وإيضاح فكرة الحلال والحرام والأمور المشتبهات مما فيه إغراء للتقيد بأحكام الله تعالى واختيار أو إتباع أحد الأمرين، إما الحلال وإما الحرام لذلك نجد جمل الشرط في هذا الحديث مقرونة بأجوبتها دون وجود فاصل بينهما لتعجيل الثواب، ونجد كذلك من الأساليب التي يزخر بها الحديث أسلوب العرض والتحضيض وذلك في قوله:

* ألا وإن لكل ملك حمى.

* ألا وإن حمى الله في أرضه.

* ألا وإن في الجسد مضغة.

فهذا التسلسل والترتيب في أساليب الشرط والعرض والتحضيض منسجم مع هدف الحديث وهو تنبيه العباد وإلزامهم بفعل ما هو بين وواضح.

([1]) المعجم الكبير: مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، حرف الحاء، ج5، ط1، 2000م.

واتجاه المطابقة في هذا الحديث من العالم إلى الكلمات أما عن شرط الإخلاص والمحتوى القضوي فهو الالتزام بشيء في المستقبل وهو عدم الوقوع فيما هو متشابه في حكمه والتثبت بما فيه ثواب من رب العباد والقيام بما هو حلال محلل نص عليه الله تعالى في ذكره هو الغرض التداولي الذي أنجزه هذا الحديث.

فالمسلم عليه بأحد الأمرين "الحلال أم الحرام" وألاّ يوقع نفسه فيما هو من المشتبهات.

الحديث الثالث:

(حدثنا مسدد قال: حدثنا بشر قال: حدثنا ابن عون، عن ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه، قال: "أي يوم هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه قال: أليس يوم النحر؟

قلنا: بلى قال: فأيُّ شهر هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيمسيه بغير اسمه فقال: أليس بذي الحجة؟

قلنا بلى، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له") [1].

ينضوي هذا الحديث ضمن الإلتزاميات، فنجد نص الحديث يحفل بالأفعال فنجد على صيغة الماضي: قال (5 مرات)، قلنا (2 مرتين)، سكتنا (2 مرتين)، ظننا (2مرتين) وعلى صيغة المضارع يبلغ، ليبلغ، سيمسميه (2 مرتين)، للاستقبال.

أما على مستوى الجمل نجد من الخبرية في نص الحديث ما يلي:

* فسكتنا حتى ظننا انه سمسميه (2 مرتين).

* إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام.

أما من الجمل الإنشائية فنجد:

* الأمر: ليبلّغ الشاهد الغائب.

* الاستفهام:

([1]) صحيح البخاري: كتاب العلم باب قوله صلى الله عليه وسلم رب مُبلّغ أوعى من سامع، 67.

* أي يوم هذا؟

* أليس يوم النحر؟

* أي شهر هذا؟

* أليس بذي الحجة؟

فتنوع الجمل في هذا الحديث له تأثير على المخاطب فيُفَعل العملية التواصلية بين المرسل والمستقبل.

ومن الملاحظ كذلك على نص الحديث استعمل حرف الجواب "بلى" الذي يقول فيه علماء النحو أن أصلها كان رجوعا محضا عن الجحد، إذا قالوا: ما قال عبد الله بل زيد فكانت "بل" كلمة عطف ورجوع لا يصلح الوقوف عليه، فزادوا فيها ألفا يصلح فيها الوقوف عليه، ويكون رجوعا عن الجحد فقط وإقرارا بالفعل الذي بعد الجحد فقالوا: "بلى" دلت على معنى الإقرار والإنعام فهي نائبة عن جملة [1].

كما أنه استعان باسم الإشارة "هذا" في مواقع عديدة ليبين الشيء المقصود أو المعني بالكلام.

فهذا الحديث من الأحاديث النبوية التي تعددت فيها الأساليب وتنوعت وذلك وفقا للمقام الذي قيلت فيه ألا وهو مقام إلزام المسلمين بالإلتزام لأوامر الله عز وجل فرسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة في حجة الوداع، التي جاءت بعد أن أكمل الرسول (ص) للناس أمور الرسالة رأى أن هناك بعض الأمور التي على العباد التقيد بها منها احترام فضل الأشهر الحرم ولاحظ دون شك أن هناك حاجة إلى تأكيدها والإشهاد

(1) أبو زكريا يحي بن زياد الفراء: معاني القرآن، دار عالم الكتب، ج1، ط3، 1983م، ص53.

عليها فألزم الشاهد تبليغ الغائب نظرا لضرورة الأمر، فالناس في هذه الأيام المعدودة تحرم عليهم أموالهم ودماءهم وأعراضهم.

أما عن اتجاه المطابقة في هذا الحديث من العالم إلى الكلمات، والهدف التداولي هو الاهتمام بما لهذه الأشهر الحرم من فضل والالتزام بأوامر الله عز وجل ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم حتى تتفادى الوقوع في المحرمات ومن ثم حصاد الأجر والثواب.

الحديث الرابع:

(حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عمرو قال: أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أقول: والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت، فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي قال: "فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر وقم ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر".

قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فصم يوما وأفطر يومين، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فصم يوما وأفطر يوما فذلك صيام داوود عليه السلام وهو أفضل الصيام، فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك: فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أفضل من ذلك") [1].

يندرج نص هذا الحديث ضمن تصنيف سيرل في صنف الإلتزاميات.

فنجد الحديث يزخر بمجموعة من الأفعال على اختلاف أزمنتها، فنجد من الماضي: قلت، أطيق، والمضارع فجاء متمثل في: تستطيع، يقول، أما عن الأمر فقد نال الحظ الأوفر فنجده فيما يلي: صم (3 مرات)، أفطر (3 مرات)، نَمْ، قُمْ، وهو المناسب لهذا الصنف.

وإذا ما ألقينا نظرة حول جمل نص الحديث نجده حافل بالجمل الإنشائية فقد ورد منها:

* القسم: والله لأصومن النهار، والقسم من أساليب الحلف واليمين، فمنه الإستعطافي وغير الإستعطافي هذا ما قسمه النحاة[2].

([1]) صحيح البخاري: كتاب الصوم، باب صوم الدهر، 1976.

([2]) عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ج2، (د، ط)، 1963م، ص362.

ومن الأساليب الإنشائية نجد الأمر في قوله: فصم، وأفطر، وقم ونم، صم (3مرات)، أفطر (3 مرات).

ومن الملاحظ على هذه الأفعال –أفعال الأمر– فيها طلب متبوع برأفة ورحمة من خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم واهتمامه لأمر أمته، مما نجده يطلب من الصوم مرة والإفطار مرة أخرى وذلك بغرض تقبل السامع أو المخاطب للأمر المطلوب منه، مع العلم أن الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام[1].

ومن الأساليب الخبرية التوكيد باللام متبوعة بفعل مضارع به نون التوكيد الثقيلة كلها أدوات غرضها تثبيت التأكيد على الصوم.

والطاغي على نص الحديث هذا هو أسلوب الحوار والذي دار بين المخاطَب والمخاطِب من سؤال متبوع بجواب عنه طلبا للمعرفة لذلك نجد هذا الأسلوب قام بدور فعال في إطلاق العنان للعقل بالمناقشة والتفكير وإعطاء رأي ولكن بأسلوب راقي وأخلاقي وهذا ما يدعو إليه خير المرسلين في كثير من المواقف والمواضع.

والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في حواره هذا مع عبد الله بن عمرو يسعى من خلال خطابه إلى إقناعه بما يراه ويعلمه إلى ما فيه الفائدة والأجر، بحيث يرى أن ما ألزم نفسه به فيه تعب ومشقة له وأن للنفس حقا على صاحبها لهذا عليه أن يوازن بين الروح والجسد وبين الدنيا ومتاعبها وبين الآخرة وثوابها.

فالصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون فيما بينهم لنيل الأجر والثواب ويقومون في بعض الأحيان بما فيه عناء لأنفسهم مقابل التباهي وحصاد الأجر، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم له منهج تربوي تعليمي هادف في تبليغ رسالته لهذا يدعو إلى

([1]) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1999م، ص120.

الموازنة بين الراحة وتحمل الشدائد، ووضع النفس وسط لا تقصير ولا إفراط مع مراعاتها ففي منهج الرسول صلى الله عليه وسلم بلاغة وحكمة.

واتجاه المطابقة هنا من العالم إلى الكلام والغرض الإنجازي هو التزام بالأجر لمن صام الدهر أو صام صيام داوود عليه الصلاة والسلام.

أما عن الغرض التداولي من هذا الحديث هو اهتمام بالنفس البشرية مع إعطائها حقها مع القيام بواجبها لمرضاة الله عز وجل وتبيان أهمية الصوم ومدى الثواب على القائم به.

4. التعبيريات:

الحديث الأول:

(حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال: حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث من كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الفكر كما يكره أن يُقذف في النار") [1].

إن نص الحديث الذي بين أيدينا يمكن تصنيفه ضمن التعبيريات أو البوحيات Expressifs.

ونجد من أفعال هذا الحديث ما دل على الماضي مثل: وجد، ومن المضارع نجد ما يلي: يكون، يحب، يكره، يعود، يقذف.

ومن الملاحظ على نص الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ابتدأ خطابه بمجمل ثم فصل في المسألة وقام بتوضيح مبهم، وهو أسلوب يبعث الطمأنينة في نفس السامع أو متلقي الخطاب وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كُنّ فيه وجد حلوة الإيمان"، فالسامع لهذه المقدمة والتي بطبعها تساعد على إحياء عنصر التشويق تدفع به إلى طرح مجموعة من التساؤلات.

ثم يردف الرسول صلى الله عليه ويسلم شرح وتفصيل ما هو مجمل والمتمثل في:

([1]) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، 16.

* جعل الله عز وجل ورسوله الأمين صلى الله عليه وسلم أحب إليه مما سواهما وهذا ما ورد في قوله: "أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما".

* أن يكون حبه خالص لرب العباد فلا ينتظر من وراء ذلك أجرا أو ثوابا سواء في الدنيا أو الآخرة هذا ما عبر عنه في قوله: "أن يحب المرء لا يحبه إلا لله".

* أن لا يرجع إلى الكفر بعدما تاب رب العباد عليه وأنقذه من عذاب نار جهنم فقد قال: "أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار".

ومن الملاحظ في الأسلوب المتبع في شرح وتفصيل ما جاء مجملا في بدايته أنه استعمل الحرف "أن" ذات النون الخفيفة والتي يأتي بعدها غالبا فعل يقين[1].

والأفعال التي جاءت في الجمل بعد "أن" كلها تعبر عن المشاعر من حب وكره، فمن أدرك هذه المشاعر والأحاسيس تذوق طعم الإيمان وبكل ما يتصف به من حلاوة وشعور براحة نفسية لا أتضاهيها راحة.

فهذه الأفعال قد حققت الغرض الانجازي المتمثل في حسن التعبير عن حالات نفسية متنوعة تختلج نفس الإنسان، فالمؤمن الصادق في إيمانه يظهر من خلال انفعالاته المختلفة.

والهدف التداولي الذي تضمنه نص الحديث تتجلى في محاولة الوصول إلى درجة عالية من الإيمان وتذوق حلاوة الراحة والطمأنينة والسكينة التي يشعر بها كل مؤمن طائع لأوامر خالقه.

([1]) علي جاسم سليمان: موسوعة معاني الحروف العربية، دار أسامة للنشر، (د، ط)، 2003م، ص 35.

الحديث الثاني:

(حدثنا عثمان بن أبي شيبه حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صال عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تحاسد إلا في اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار يقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل ورجل آتاه الله مالا ينفقه في حقه فيقول: لو أوتيت مثل ما أوتي لفعلت كما يفعل")[1].

حدثنا قتيبة حدثنا جرير بهذا.

نص هذا الحديث يعد من التعبيريات والتي بمعيار سيرل هي الأفعال التي تعبر عن حالة نفسية والتعبير عن المشاعر إزاء الواقع.

والمتأمل لنص هذا الحديث يجده يحفل بمجموعة من الأفعال نجد منها على صيغة الماضي ما يلي: آتاه (2 مرتين)، أوتيت (2 مرتين)، فعلت (2 مرتين)، والمضارع نجد: يتلوه، يقول (2 مرتين)، يفعل، ينفقه.

أما على مستوى الجمل فنجد من الجمل الإنشائية:

* النهي: "لا تحاسد إلا في اثنين" جملة ابتدأت بمجل ألا وهو النهي عن الحسد لأنه ليس من شيم ولا من أخلاق المسلم وبعدها مباشرة أتبعه بأسلوب الاستثناء بالأداة "إلا" لينتقل من المجمل إلى التفصيل والشرح فأخرج من دائرة الحسد أو التحاسد ما يمكن أن يكون جائز والجائز في نص هذه الحديث هو تمني تلاوة القرآن بالليل والنهار وكذلك الإنفاق في سبيل الله عز وجل.

وأسلوب الترتيب هذا له غرض تداولي يتمثل في لفت انتباه السامع لما يقول وقد تجلى ذلك في قوله: "لا تحاسد إلا في اثنين" فالسامع حين التلفظ بهذا الكلام تختلجه مجموعة من الأسئلة والاحتمالات التي قد تدخل حيز الاستثناء.

فالحسد صفة ذميمة نهانا عنها الرسول صلى الله عليه وسلم عليها كما أنها شعور سيئ يجعل صاحبه لا يحمد عقباه.

([1]) صحيح البخاري: كتاب التمني، باب تمني القرآن والعلم، 7636.

* الشرط: في قوله: "لو أتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل" جملة شرطية استعملت فيها الأداة لو وهي حرف للتمني وجاءت متبوعة بجملة جواب الشرط مباشرة دون وجود فاصل بين كلتا الجملتين وذلك لتسريع وتعجيل القيام بالفعل.

كما أننا نجد جملة جواب الشرط جاءت مؤكدة بحرف التوكيد "اللام" وذلك لتأكيد القيام بالفعل إن توفر الشرط.

ومن الملاحظ كذلك على نص الحديث تكرار الجملة الشرطية مرتين والمتمثلة فيما يلي:

* "لو أوتيت مثل ما أوتي لفعلت كما يفعل" والتكرار وسيلة بلاغية مهمة لها غرض تربوي هادف وهو التأكيد على القول وكذلك تقوية الفعل لإنجازي.

فالمتكلم في نص الحديث يؤكد تمنيه أحد المنزلتين: منزلة رجل يتلو القرآن آناء الليل والنهار، ومنزلة رجل ينفق ماله في سبيل الله تعالى.

وهذا ما يحاول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تأكيده وهو التعبير عن الحالة النفسية لهذين الرجلين وتمني فعل مثلما يفعلان وهذا ما يطمح إليه كل مسلم لنيل رضاء الله عز وجل، أما حققه لنا الحديث من غاية تداولية فتمثل في حثنا على عدم التحاسد إلا ما فيه من راحة وارتياح وثواب فما أجمله من شعور أن تعمل عملا خالصا لله تعالى.

الحديث الثالث:

(حدثنا النعمان حدثنا حماد بن زيد عن يحي عن محمد بن يحيى بن حبان عن أنس بن مالك رضي الله عنه وأرضاه قال حدثتني أم حرام أن النبي صلى الله عليه وسلم: نام يوما في بيتها فاستيقظ وهو يضحك قالت: "يا رسول الله ما يضحكك؟" قال: "عجبت من قوم من أمتي يركبون البحر كالملوك على الأسرة" فقلت: "يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم"، فقال: "أنت منهم" ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقال: مثل ذلك مرتين أو ثلاث قلت: "يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم" فيقول: "أنت من الأولين" فتزوج بها عبادة بن الصامت فخرج بها إلى الغزو فلما رجعت قربت دابة لتركبها فوقعت فاندّقت عنقها") [1].

يعتبر هذا الحديث من صنف التعبيريات.

والمتمعن في أفعاله نجد منها على صيغة الماضي ما يلي: قال، قالت، قلت (2مرتين)، نام، تزوج، خرج ، رجعت، وقعت، اندقت، استيقظ، عجبت، أما على صيغة المضارع نجد: يضحك (2 مرتين) ، يركبون، يجعلني (2 مرتين)، تركبها، ومن صيغة الأمر نجد: أدع (2 مرتين)، مع أن الأمر هو طلب القيام بفعل هنا ودال على الالتماس والطلب[2].

لأنه جاء من أم حرام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي تلتمس منه الدعاء لها.

ومن الملاحظ على مستوى الجمل أنها تراوحت بين الخبرية التقريرية والإنشائية.

فمن الخبرية ما يلي:

* نام يوما في بيتها فاستيقظ وهو يضحك.

([1]) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ركوب البحر، 6894-6895.

([2]) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص341.

* قال ذلك مرتين أو ثلاثا.

* تزوجها عبادة وخرج بها إلى الغزو..

أما من الإنشائية نجد ما يلي:

* النداء: "يا رسول الله" وقد جاء بحرف النداء "يا" وهو النداء البعيد كما أنه قد ينادى به للقريب توكيدا[1]، واستعمل هنا بغرض لفت انتباه السامع وتنبيه له للإصغاء، كما أنه –أي النداء– تكرر ثلاث مرات وفي تكراره تحبيب لذكره صلى الله عليه وسلم ومناداته.

* الاستفهام: "ما يضحكك؟" مع العلم أن للاستفهام دور هام في اكتساب المعارف وتوسيع المدارك وتحقيق الفائدة فأم حرام الصحابية الجليلة هنا تطلب الفهم والمعرفة لذلك فهي تسأل عن سبب ضحك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

بعدها مباشرة تصدر جواب الرسول الكريم (ص) أسلوب التعجب فجاء على صيغة فعل التعجب "عجبت" وهو أسلوب نداء يقصد به التعجب من شيء عظيم ويستعمل لتوضيح حالة نفسية تتعلق بالمتكلم، وقد جاء هذا الأسلوب للتنويه إلى شأن طائفة من أمة محمد (ص) يركبون البحر "بحر الجهاد في سبيله" دون الخوف من العاقبة وهو لَأمر يثير إعجاب خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم، فعبر عن حالة الإعجاب بالضحك، وهو فعل انجازي دال على مشاعر الفرحة التي بداخل نفس رسول الله (ص) والغرض الإنجازي من التعجب هو الفرح والسرور أي التعبير عن المشاعر الذي تختلج نفس المجاهد في سبيل الله ومشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم اتجاه "المجاهد".

ولهذا نجد الصحابية الجليلة "أم حرام" قد طلبت من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن تكون من هذه الطائفة والدعاء لها بشرف هذه المنزلة، فما كان لها إلا ما

([1]) ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1998م/1418هـ، ص704.

ابتغت وماتت وهي عائدة من غزو، ثم كررت طلبها هذا وكان غرض التكرار التأكيد على رغبتها في الاستشهاد في سبيل الله.

والملاحظة في نص الحديث استعمال الحوار الذي دار بين كل من رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابية الجليلة أم حرام والحوار يرتكز على قاعدة تواصلية هامة غايتها إبلاغ الناس أن الجهاد في سبيل الله ليس حكرا على الرجال وإنما يمكن للنساء المشاركة، وفيه حث ودعوة للجهاد لما فيه من ثواب وهذا ما جعل الصحابية تلح في التماسها من رسول الله لخروجها معهم في إحدى غزواته.

أما عن اتجاه المطابقة في نص هذا الحديث فيرى سيرل أن هذا الصنف من التصنيفات ليس له اتجاه مطابقة لأن التعبيريات ما هي إلا تعبير عن حالة نفسية تتعلق بالمتكلم، فرسول الله عليه وسلم عندما تعجب من أمر طائفة من أمته ظهر السرور والفرح على وجهه فأنجز فعل الضحك

وشرط الإخلاص هنا لا شك فيه فهو الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم، وفي إعجابه وفرحه بهذه الطائفة دعوة لنا للجهاد في سبيل الله عز وجل لما له من فضل عند رب العباد.

الحديث الرابع:

(حدثني يوسف بن موسى حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يقول الله: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك" قال: "يقول أخرج بعث النار" قال:" وما بعث النار؟" قال: "من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين فذاك حين شيب الصغير.."، فاشتد ذلك عليهم فقالوا: "يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟" قال: "أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل" ثم قال: "والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة" قال: "فحمدنا الله وكبرنا" ثم قال: "والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو الرقمة في ذراع الحمار") [1].

ورد في هذا الحديث من الأفعال: قال: (7 مرات)، قالوا، اشتد، حمدنا، كبرنا، وهي على صيغة الماضي أما المضارع فقد ورد ما يلي: يقول (2 مرتين)، تكونوا، أطمع، يشيب، وعلى صيغة الأمر نجد: أخرج، أبشروا.

وإذا ألقينا نظرة حول الجمل نجد أغلبها جملا إنشائية وهي تتمثل في قوله:

* النداء: يا آدم، يا رسول الله، وفيه دعوة المخاطب وتنبيه للإصغاء.

* الاستفهام: ما بعث النار؟ أينا ذلك الرجل؟

* وفي الاستفهام طلب المعرفة فالمتلقين لهذا الخبر يتساءلون عن أهل النار وما إن كانوا معهم خوفا من عاقبة الأمور.

([1]) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب قوله عز وجل: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، سورة الحج الآية 1، 6530.

* القسم: والذي نفسي بيده (2 مرتين) وقد جاء جواب القسم مؤكد بمؤكدين "إن" "واللام" وذلك لتأكيد خوف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على أمته وبالتالي طمعه أن تدخل أمته الجنة.

ومن الملاحظ أنه استهل الخطاب بلفظة "أبشروا وهو أمر به دعوة إلى الفرح والشعور بالسرور، فهو حينها يهنئهم بأن منهم رجلا ومن يأجوج ومأجوج تسعة وتسعين في أهل النار وذلك لمنزلتهم الرفيعة يوم القيامة عند رب العباد.

فقد استعمل هذا الأسلوب كذلك لتوضيح حالة نفسية لدى المتكلم فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فرح بشأن أمته.

ثم أتبع ذلك بقوله "فحمدنا وكبرنا" وفيه الفرحة بادية على السامعين.

وقد جاء بهذه الأساليب تنويها لأمر جلل وهو رضاء الله عز وجل على عباده ورحمته التي وسعت كل شيء ومن ثمة رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم وحبا في أمته جعلته يطمع أن تحتل ثلث الجنة أو شطرها.

وليبين فضل أمته على سائر الأمم شبهها بالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، وقد استعمل هذا التشبيه الحسي ليقرب المعنى ويثبت الحقائق ويؤثر في نفوس السامعين.

أما عن أسلوب الحوار المتبع في نص هذا الحديث فهو وسيلة تداولية تربوية تسعى إلى كشف مكامن المعرفة والادراكات.

وهذه الحالات النفسية من بشرى وحمد فتكبير ما هي إلا انفعالات تبدو على المخاطب أو السامع اتجاه الخبر الملقى عليه.

وهذه الإنفعالات ليس لها اتجاه مطابقة فهي تعبير شخصي خالص، وفي هذا الحديث غاية تداولية مفادها الفرح والسرور ثم الحمد والتكبير لفضل الله عز وجل والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عليهم وتفضيلهم على سائر الأمم.

الحديث الخامس:

(حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر ويونس عن الزهري... أن عمرو بن عوف قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة ابن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع النبي (ص) فلما انصرف تعرضوا له فتبسم الرسول (ص) حين رآهم ثم قال: "أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء" قالوا: "أجل يا رسول الله" قال: "فأبشروا وأملوا ما يسركم فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم") [1].

ورد في هذا الحديث من الأفعال على صيغة الماضي: بسطت، تنافسوها، أهلكتهم، أما على صيغة المضارع فنجد: أخشى (2 مرتين)، بسط، تنافسوها، تهلكهم، يسركم، وعلى صيغة الأمر نجد: كل من: أبشروا، أملوا.

ومن الملاحظ على نص الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استهل الحديث بلفظة "أبشروا" وهو فعل إنجازي دال على مشاعر الفرحة والسرور، وفيه دعوة للاستبشار وتنويه إلى شيء عظيم وبشرى سارة.

ثم أردف فعل الأمر بفعل أمر ثان "أملوا" وهو فعل انجازي كذلك دال على حالة نفسية، وفي هذا الترتيب غرض تداولي وهو تأكيد الحالة الانفعالية وهذا يتماشى والمقام.

([1]) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب ، 4015.

فالأنصار ها هنا يعانون من ضائقة مالية، وخوفا من أن ينقادوا وراء الأمور الدنيوية عبر الرسول صلى الله عليه وسلم في خطابه أنه لا يخشى عليهم من الفقر وإنما يخشى كلهم من أن ينسوا الآخرة ومن ثم تبسط الدنيا عليهم كما بسطت على الأمم السابقة.

أما إذا أمعنا في النظر في جمل نص الحديث نجدها تراوحت بين الخبرية التقريرية والإنشائية والتي نجد منها:

* النفي: ما الفقر أخشى عليكم.

* الأمر: في أبشروا، أملوا.

* القسم: والله.

وبلاغة من الرسول صلى الله عليه وسلم فقد حذرهم من الاهتمام والسعي وراء الأمور الدنيوية ونسيان أمور الآخرة، لهذا دعاهم للاستبشار والتمسك بالأمل، فالمؤمن تعترضه أحوال في الدنيا منها ما يثير انفعالات الحزن ومنها ما يثير مشاعر الفرحة والسرور.

ولكن عليه التحلي بالصبر والعزيمة لتحمل الشدائد، لهذا نجده ينوههم إلى ما حدث للأمم السالفة من بسط الدنيا عليهم وهلاكهم.

وهذا هو الهدف التداولي الذي يسعر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إبلاغه من خلال نص هذا الحديث والمقام هذا.

أما عن اتجاه المطابقة فهو اتجاه فارع على رأي سيرل فقد يغني عنه شرط الإخلاص الذي يؤول إلى إنجاح الفعل، وقوته الإنجازية تضمنتها الجملة "أبشروا وأملوا ما يسركم".

5. الإعلانيات:

الحديث الأول:

(حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا هشام أخبرنا محمد عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد قال: بيْنا النبي صلى لله عليه وسلم يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: "اعدل يا رسول الله" فقال: "ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل" قال عمر بن الخطاب: "دعني أضرب عنقه"، فقال: "دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامهم مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرِّمية ينظر في قِذَذِهِ فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نَصْلِه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نَصِيِّهِ فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه أو قال: ثدييه مثل ثدي المرأة أو قال: مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس"، قال أبو سعيد: "أشهد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي صلى الله عليه وسلم" قال: فنزلت فيه قوله تعالى: "ومنهم من يلمزك في الصدقات") [1].

يمكن إدراج هذا الحديث في باب الإعلانيات وقد غلب على نص هذا الحديث أفعال على صيغة المضارع فنجد منها: يعدل، يقسم، أضرب، يحقر، يمرقون، يمرق، ينظر (4 مرات)، يوجد (4 مرات)، تدردر، يخرجون، وهو زمن دال على الحركة والتجدد مع الاستمرار، أما الماضي فنجده يتمثل في فعلين هما: قال، سبق، والأمر يظهر في قوله: اعدل، دعني، دعه.، ففي الفعلين "اعدل، دعني" التماس بطلب العدل والترك لأنه صادر من عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي والصحابي عمر بن الخطاب

(1) صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف وأن لا ينفر الناس عنه، 6933.

رضي الله عنه إلى رسول الله (ص)، أما الفعل "دعه" ففيه أمر بترك الرجل وشأنه فهو صادر من الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أما على مستوى الجمل فقد زاوج نص الحديث بين الجمل الخبرية والتي نجد منها:

* إن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته.

* يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

* يخرجون على حين فرقة من الناس.

وبين الجمل الإنشائية والتي نجد منها:

* الأمر: اعدل يا رسول الله.

* دعني أضرب عنقه.

* دعه..

وفي هذا الأسلوب الأمري غرض انجازي والذي يدل على طلب ترك الخوارج وعدم مقاتلهم وقد استعان بمجموعة من التشبيهات لينفر الصحابة منهم.

فقال: "آيتهم رجل إحدى يديه أو ثدييه مثل ثدي المرآة" فقد شبهه بالمرأة والمسلم لا يقاتل امرأة، أما عن قول الصحابي أبو سعيد: "أشهد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه" ففيه إعلان بالشهادة عن قول الرسول الكريم وعن فعل الصحابي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومشاركته في الفعل رسول صلى الله عليه وسلم عندما تلفظ بقوله "دعه"، فالصحابي أبو سعيد عندما تلفظ بقوله هذا قد أنجز فعلا وقد كرر ذلك مرتين بحيث يوافق أو يتطابق محتواه القضوي مع العالم الخارجي.

واتجاه المطابقة فيه من الكلمات إلى العالم، ومن العام إلى الكلمات.

ونص الحديث هذا قد أنجز لنا تداولية مفادها عدم ضرب أو تعذيب المرتدين والخوارج فالله هو معذبهم وله حق القصاص منهم.

الحديث الثاني:

(حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد، قال: حدثنا عمارة بن القعقاع قال: حدثنا أبو زرعة: قال: حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتة" قال: "أحسبه قال هُنيَة" فقلت: "بأبي وأمي يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟" قال: "أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالثلج والبرد") [1].

إن هذا الحديث الذي بين أيدنا يمكن عده ضمن تصنيف الاعلانيات وذلك وفقا لنصه.

فنص الحديث هذا يزخر بالأفعال فنجد منها على صيغة الماضي: قال، قلت، باعدت، أما المضارع فنجد: يسكت، تقول، أقول، ينقى، ومن صيغة الأمر نجد كل من: باعد، نقني، اغسل، وفي هذه الأوامر التماس من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وطلب البعد عن الخطايا والتنقية من الذنوب والاغتسال منها فهو يدعو ربه عز وجل لتقبل طلباته فيقول: اللهم، والأمر يخرج إلى أغراض أخرى تفهم من سياق الكلام ومن بينها الدعاء الواضح والجلي من نص الحديث.

أما على مستوى الجمل فتغلب عليها الأساليب الإنشائية من:

* القسم: بأبي وأمي.

* النداء: يا رسول الله استعمل "يا" حرف النداء للبعيد لتحبيب ذكره.

([1]) صحيح البخاري: كتاب الآذان باب ما يقول بعد التكبير، 744.

* الأمر: باعد بيني وبين خطاياي، نقني من الخطايا، اغسل خطاياي، ولها دلالات أخرى هي الدعاء.

* الاستفهام: ما تقول؟، وفيه طلب الفهم والمعرفة.

ومن الملاحظ على هذا النص استعمال أسلوب الحوار والذي هو وسيلة من وسائل طلب المعرفة والمدارك، وكذلك استعمال أو الاستعانة بمجموعة من التشبيهات الحسية لتقريب الحقائق والمعاني، فقد استعمل في تشبيهاته بعض الألفاظ التي تحمل معان دقيقة: الخطايا المشرق والمغرب والبعد بينهما بعد السماء عن الأرض، فقد طلب إبعاده عن الخطايا مسافة غير قريبة، وكذلك الثوب الأبيض دلالة على النقاء والصفاء أما الدنس فهو الوسخ وكذلك الماء والثلج والبرد.

والملاحظ أن بين كل لفظة ولفظة أخرى يوجد نوع من المفارقة والتضاد.

وكذلك قوله: "أقول: اللهم ....." ففيه إعلان عن القيام بفعل معين وقول معين كذلك وبهذا يكون الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من خلال إعلانه عن قوله هذا قد علمنا طريقة من طرق الدعاء وذلك بين التكبير والقراءة وهذا الهدف التداولي التي يرمي إليه خير خلق الله عز وجل.

واتجاه المطابقة هنا يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، كما أن سيد البشرية لا يحتاج إلى شرط الإخلاص فهو الصادق المصدوق، الكريم الأمين صلى الله عليه وسلم.

الحديث الثالث:

(حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عمر وعن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطى به أكثر مما أعطى وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماء" فيقول الله: "اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك") [1].

يندرج هذا الحديث ضمن صنف الإعلانيات.

ويسبح في نص هذا الحديث مجموعة من الأفعال نجد من الماضي: حلف (2مرتين)، أعطى (2 مرتين)، منع، منعت، قال، أما المضارع فنجد: كل من يكلمهم، ينظر، يقتطع، يقول، أمنعك، تعمل، وقد انعدم فيه الأمر.

وإذا تأملنا الجمل التي يتشكل منها نص هذا الحديث نجدها منوعة بين الجمل الخبرية والتي تتمثل في قوله:

* رجل حلف على سلعة.

* أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب.

* رجل حلف على يمين.

* لا يكلمهم الله يوم القيامة.

* لم تعمل.

* لا ينظر.

([1]) صحيح البخاري: كتاب الشرب والمساقاة، باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه، 2369.

أما على مستوى الأساليب فنجد أسلوب تفصيل وشرح المجمل، فقد ابتدأ نص الحديث هذا بمجمل يتمثل في قوله: "ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم"، فالمستمع لهذا النص تتبادر في ذهنه مجموعة من الاقتراحات التي يفترضها من بين هذه الزمر التي حددها الله عز وجل ومنعهم من الكلام معه أو حتى النظر إليه، وهذا ما يجعل من الخطاب مشوقا ودافعا إلى استعمال الفكر والقيام ببعض المجهود الفكري إزاء الثلاثة وبعدها مباشرة يقطع تفكير المستمع أو المتلقي ويعطيه التفصيل فيقوم بشرح المجمل والمبهم، فيبدأ بالبسط لتنقل إلى البسيط ويصل في آخر الأقسام وأعلاها وأعظمها من يمنع رزق الله والمتمثل في فضل الماء وذلك لما له من فضل عظيم.

أما في قوله: "فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي" ففيه إعلان لله عز وجل بمنع رحمته وفضله لمن منع فضل الماء والسقي لكل المخلوقات دون تحديد وقد ورد في هذا كثير من الأحاديث.

ومنع الفضل كذلك لكل حلاف كذاب منع مال رجل مسلم، ولكل حلاف كذلك حلف بغرض الربح فلا ربح مع معصية الله، وبمجرد تلفظه "عز وجل" بلفظة "أمنعك" فقد أنجز فعلا كلاميا يتطابق محتواه مع العالم الخارجي والغرض التداولي الذي يسعى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى إبلاغه يتمثل في إعلان المنع من رب العباد على الحالات الثلاثة.

واتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات.

فالرسول صلى الله عليه وسلم من خلال حديثه هذا يعلن إعلان منع الله عز وجل لفضله لكل مانع لفضل من أفضاله.

الحديث الرابع:

(حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب عن عمرو عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي طلحة: "إلتمس غلاما من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر" فخرج بي أبو طلحة مردفي وأنا غلام راهقت الحلم فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل فكنت أسمعه يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبه الرجال" ثم قدمنا خيبر فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي أخطب وقد قتل زوجها وكانت عروسا فاصطفاها رسول الله صلى عليه وسلم لنفسه فخرج بها (...) حتى إذا أشرفنا على المدينة نظر إلى أحد فقال: "هذا جبل نحبه ويحبنا".

ثم نظر إلى المدينة فقال: "اللهم إني أحرم ما بين لابتيها بمثل ما حرم إبراهيم مكة، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم") [1].

نجد في أفعال هذا الحديث من الماضي: قال، خرج (2 مرتين)، نزل، كنت، فتح ذكر، قتل اصطفاها، ومن المضارع نجد: يخدمني، أخرج، أحرم، أعوذ، أخدم، أما الأمر فنجد منه: اِلتمس، بارك، وفيه اِلتماس من الرسول صلى الله عليه وسلم لرب العباد عز وجل بطلب التحريم والمباركة.

وقد غلب على هذه الأزمنة المختلفة زمن الماضي لأنه يناسب مقام السرد، وتقرير الحقائق وتثبيتها.

أما على مستوى الجمل فنجدها منوعة بين الخبرية والإنشائية، ومن هذه الأخيرة نجد:

([1]) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة، 6893.

* الأمر: "اِلتمس" وفيه طلب برفق ولين من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى الصحابي أبو طلحة، "بارك" وفيه اِلتماس من الرسول صلى الله عليه وسلم لرب العباد عز وجل وذلك بطلب المباركة لهم "أهل المدينة".

* الدعاء: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، العجز والكسل، البخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال" وفيه إعلان بطلب إعانة الله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم على (الحزن والهم، العجز والكسل، البخل والجبن، الدين وغلبة الرجال).

وفي قوله كذلك: "اللهم إني أحرم..." أسلوب له غرض انجازي حقيقته تكمن في الفعل "أحرم" الذي يدل على تحريم الرسول صلى الله عليه وسلم، ما بين لابتي المدينة أو طرفيها.

وإنما استعمل هذا الأسلوب لتحفيز الناس من أهل المدينة على الجهاد في سبيل الله عز وجل ونيل مباركة الله تعالى لهم في مدهم وصاعهم، وقد شبه تحريمه هذا بتحريم سيدنا إبراهيم لمكة، مع أن التحريم يكون من الله عز وجل ولمن اصطفاهم من بعده لهذا جاء في قالب الدعاء في قوله "اللهم..." وهو أسلوب فيه إغراء للمسلمين.

واتجاه المطابقة في هذا النوع من التصنيفات اتجاه مزدوج أي من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات وهو لا يحتاج إلى شرط إخلاص.

الحديث الخامس:

(حدثنا علي حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل قال: قيل لأسامة: "لو أتيت فلان فكلمته" قال: "إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم إني أكلمه في السر دون أن أفتح بابا لا أكون أول من فتحه ولا أقول لرجل أن كان علي أميرا إنه خير الناس بعد شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم" قالوا: "وما سمعته يقول" قال: سمعته يقول: "يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه" فيقولون: "أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟" قال: "كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه") [1].

ورد في نص هذا الحديث من الأفعال ما جاء على صيغة الماضي: كنت، قال، سمعته، وعلى صيغة المضارع: يجاء، يجتمع، يدور (2 مرتين)، يقولون، تأمرنا، تنهانا، يقول، تندلق، آتيه، يلقى.

أما على مستوى الجمل فنجد منها الخبرية التقريرية التي تفيد الإخبار وإقرار الحقائق من مثل:

* يجاء بالرجل يوم القيامة.

* يلقى في النار فتندلق أقتابه في النار.

والجمل الإنشائية نجد منها:

* الاستفهام في قوله:

- ما شأنك؟.

([1]) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب صفة أهل النار وأنها مخلوقة، 3267.

– أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟

وفي الاستفهام طلب للمعرفة وكسب للادراكات، وفيه أيضا حب الإملاء المعرفي فلا يبين السائل جهله بالموضوع وإنما للإطلاع والتأكيد على المعلومة.

وقد استعمل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليحقق الغرض الانجازي من أفعال هذا الحديث أسلوب الحوار أو المسائلة.

ومن الملاحظ في الأجوبة أن بها تكرارا للألفاظ والجمل بل المعلومة، فالتكرار غاية تداولية تتمثل في تأكيد المعلومة، وقد ورد ذلك في قولهم: "أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر"، وكانت الإجابة: "كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه".

كما استعان بأسلوب التمثيل لتقريب الحقيقة، فقد شبه المتخبط في نار جهنم بالحمار الذي يدور برحاه.

وهو أسلوب بليغ ودقيق في وصف أهل النار والحالة التي يكونون عليها.

والهدف الذي يرمي إليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعي في ذلك.

واتجاه المطابقة في نص الحديث هذا من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات.

والحديث ينجز لنا تداولية مفادها السعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا ما أعلنه الرسول صلى الله عليه وسلم.

خلاصة:

إن الذي يبدو من خلال الفصل الثاني وما يمكن أن نلخص إليه:

* أن البعد التداولي واضح وجلي فنصوص الأحاديث النبوية الشريفة تضم مظاهر تداولية كثيرة.

* وأن للسياق الدور البارز في كشف وتحديد مقاصد المتكلمين.

* أن الرسول الكريم الأمين صلى الله عليه وسلم في خطاباته قد عمد إلى علم البيان عامة والتشبيه خاصة لخاصية في الإيضاح والتوضيح.

* أن التشبيهات والتمثيلات الحسية تحدد المعاني وتقرب الحقائق وتثبتها وتؤثر في نفوس السامعين لما لها من دقة التصوير، ووضوح المعاني وإيجاز الألفاظ.

* ورود أغلب التصنيفات التي صنفها **سيرل للأفعال الكلامية ولكن الصنف الطاغي هو الاخباريات فالرسول صلى الله عليه وسلم عمد في تبليغه للرسالة إلى إفادة السامعين بما فيه الخير وما فيه الشر وعاقبته كل منهما، وعلى السامعين حسن الاختيار وتحمل العاقبة.**

* **أن استعمال الأمثال جاء لهدف تربوي هادف على** اعتبار أن التشبيه أو التمثيل وسيلة من وائل الإقناع لوصول وبلوغ الهدف المنشود.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تمحى السيئات، وبمنته تزداد الحسنات، تقبل الله هذه الصفحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المخلوقات، وسيد السادات، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن دعا بهديه وسنته إلى يوم الدين وبعد:

فبعد رحلة البحث المتواضعة هذه، وجولتنا مع الأحاديث النبوية والأمثال بها، نرسو على مجموعة من النتائج منها:

- التداولية تعنى بدراسة اللغة حال الاستعمال و تهتم بأقطاب العملية التواصلية، فتهتم بالمتكلم و مقاصده، و تراعي حال السامع أثناء الخطاب، كما تهتم بالظروف و الأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية.
- إذا ما نظرنا إلى تراثنا اللغوي العربي من: نحو بلاغة و أصول..نجد منها ما اهتم باستعمال اللغة مع مراعاة قرائن غير لفظية متصلة بها (اللغة)نحو منزلة المتكلم و علاقته بالسامع و حال كل من المتكلم و السامع.
- الفيلسوف اوستين توصل إلى أن اللغة تؤثر في السامع ،و أن مهمتها لا تقتصر على الإخبار و الوصف فحسب بل تتعداه إلى أنجاز الأفعال فالمتكلم بمجرد تلفظه بكلمة أنجز فعلا.
- تكاد تعد نظرية الفعل الكلامي أهم ما في الدرس اللساني التداولي، بعد ما تعرض لها كل من اوستين و تلميذه سيرل كنظرية لها أسسها الفلسفية و ضوابطها المنهجية ، ودرسا كل من اللغة العادية و المستعملة مع كل ما يحيط بها من ظروف و كل الظواهر اللغوية و الصيغ الكلامية و التي ينشأ عنها الفعل الكلامي.
- الفعل الإنجازي الغرض منه في أفعال الكلام التزام المتكلم بالقيام بفعل ما اتجاه السامع ، على أن يطابق السلوك لاحقا ما تم التعبير عنه سابقا (اتجاه المطابقة).
- نجاح الفعل اللغوي لا يتحقق إلا بحضور عوامل لها دور هام هي: المتكلم، السامع، القصد،و السياق و الظرف(من زمان و مكان) و كل الظروف المحيطة بالفعل.

- البلاغة فن القول و تشتمل على كل من المعاني و البديع و البيان الذي يتضمن التشبيه و هو نمط لغوي بأبسط الأشكال و أوجزها، يعكس مشاعر و أفكار و تصورات الناس إضافة إلى عاداتهم و تقاليدهم ، فبه (التشبيه)تحدد المعاني و تقرب الحقائق و يؤثر في نفوس السامعين.
- الرسول صلى الله عليه و سلم اعتمد في خطاباته و أحاديثه النبوية الشريفة المروية على أسلوب التشبيه و التمثيل في تبليغ الرسالة الموكلة له ، لامتيازه (التمثيل)بخاصية الإيضاح و التوضيح.
- الأفعال المنجزة في الأحاديث المختارة من صحيح البخاري هي أفعال أنجزت بأقوال،مثل الوعد و الأمر والتأكيد و الترغيب و الترهيب، هذا ما ترتب عنه تغير في المشاعر و السلوك،من إقناع و إرشاد و نصح و توجيه و هداية.
- الأصناف التي تضمنت الفعل الإنجازي الكلامي من خلال أحاديث صحيح البخاري هي مطابقة لشرط الصراحة لأنها صادرة عن ذات صادقة (أصدق البشر)و هذا واضح في تصنيفات الفعل الكلامي من (تعبيريات، توجيهيات،إعلانيات،إلتزاميات، الإخباريا)

﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: الآية 10].

قائمة المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** "برواية ورش".

1. الإبراهيمي(خولة طالب): مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر،، ط1، 2000م.

2. ابن جني(أبو الفتح عثمان): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ج2، ط2، 1952م.

3. ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج11، (د، ت).

4. أرمينكو (فرانسواز): المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ع 41، 1986م.

5. آن روبل جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، المنظمة العربية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، يوليو 2003م.

6. الأنصاري (ابن هشام): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1998م/1418هـ.

7. البخاري (أبو عبد الله محمد إسماعيل): صحيح البخاري، دار الهدى، الجزائر، 1992م.

8. بلخير (عمر): تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، 2003م

9. بلعيد(صالح): النحو الوظيفي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.

10. بن الصلاح (عمرو): علوم الحديث، دار الكتب العلمية، ط1، 2002م.

11.بن فارس(أحمد):

– الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، أبدران للطباعة، بيروت، لبنان، 1963م.

– معجم مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، 2002م.

12. بن كثير (عماد الدين): البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، مصرج1 (د، ت).

13. بوجادي(خليفة):

– في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت حكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009م.

– نحو منظور تداولي لدراسة البلاغة العربية، مشروع لربط البلاغة بالاتصال، جامعة سطيف، الجزائر، (د، ت).

14. بوقرة (نعمان):

– المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2004م.

– نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع17.

15. الجاحظ (عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، مصر، ج1، ط4، 1975م.

16. حسن (عباس): النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ج2، (د، ط)، 1963م.

17. حنا (سامي عياد) ، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس: معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان، (د، ت).

18. الخطيب البغدادي (أحمد بن علي أبو بكر): تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، (د، ت).

19. الخفاجي(محمد عبد الله بن سعيد بن سنان): سر الفصاحة، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1976م.

20. دلاش(جيلالي): مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.

21. الزمخشري(جار الله بن أحمد) : أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1998م.

22. السكاكي(أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد): مفتاح العلوم، تحقيق حمدي محمدي قابيل، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، (د، ت).

23. سليمان (علي جاسم): موسوعة معاني الحروف العربية، دار أسامة للنشر، 2003م.

24. سيبويه (أبو بشرعمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط3، (د، ت).

25. السيوطي (جلال الدين): شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، مخطوط (د، ت).

26. شبّر (جواد): أدب الطف أو شعراء الحسين، مؤسسة التاريخ، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 2001م.

27. الشهري (عبد الهادي بن ظافر) :استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

28. صحراوي(مسعود) : التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م.

29. الطبطبائي (سيد هاشم): نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994م.

30. عبد الحق (صلاح إسماعيل): نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية العودية للطباعة، القاهرة، 2005م.

31. عبد الرحمن (طه):

– تكامل المعارف اللسانية والمنطق، مجلة دراسات سيميائية أدبية، ع2، المغرب، 1988/1987م.

– اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مركز الفكر العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998م.

32. العسقلاني(فضل شهاب الدين احمد بن حجر):

– مقدمة فتح الباري وإرشاد الساري، شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج1، (د، ت).

– مقدمة فتح الباري مقدمة الكتاب، جامعة الملك سعود، ج2، 1957م.

33. علوي (حافظ إسماعيل): التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2011م.

34. العمري(محمد): البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999م.

35. الفراء (زكريا يحي بن زياد): معاني القرآن، دار عالم الكتب، ج1، ط3، 1983م.

36. فضل (صلاح): بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 2004م.

37. الفيروزآبادي(محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، ضبط يوسف الشيخ البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

38.القزويني (الخطيب): الايضاح في علوم البلاغة .شرح و تعليق:محمد عبد المنعم الخفاجي.دار الكتاب اللبناني. بيروت.لبناني. ط5. 1980م.

39. المتوكل(أحمد):

– اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف الاستلزام التخاطبي، أعمال الندوة 03 في البحث اللساني والسيميائي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

– الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985م.

40. مطلوب (أحمد): معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1999م.

41. المغلواطي (علاء الدين): إكمال تهذيب الكمال، تحقيق عبد الرحمن عادل وأبو محمد، دار الفاروق الحديثة، ج1، ط1، 2001م.

42 . مفتاح (محمد): الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، دار التنوير، بيروت، (د، ت).

43. الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد): مجمع الأمثال، تحقيق محمد يحي الدين عبد الحميد، ج1، (د، ت).

44. ميلاد(خالد): الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2000م.

45. نحلة(محمود أحمد): آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2002م.

46. النووي (محي الدين): شرح مقدمة على صحيح مسلم، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعارف، بيروت، ط11، 1426هـ.

47. النووي(يحي بن شرف): المنهاج في شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن.(د.ت).

48. يونس(محمد محمد): مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004م.

- **المواقع الالكترونية:**

1. بودرع (عبد الرحمان): قضايا البحث التداولي، www.lisaniate.net, 15/04/2012, 13:30.

2. ثامري (عادل): التداولية ظهورا وتطورها، www.aljihadiya.asso.dz, 15/04/2012, 13:00.

3. عمران (إدريس): نظرات في البلاغة العربية والنماذج اللسانية الحديثة نظرية النحو الوظيفي أنموذجا .http: // www.lisaniat.net

4.عمر(أحمد مختار):البحث اللغوي عند الهنود،www.neelwafurat.com

- **الرسائل الجامعية:**

1. رزقي (حورية): الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، ماجستير في علوم اللسان العربي، جامعة بسكرة، الجزائر، 2006م.

2. الطلحي(ردة الله بن ردة بن ضيف الله) : دلالة السياق، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1424هـ.

3.وشن (دلال): الإفادات والمقاصد التبليغية في النحو العربي من منظور اللسانيات التداولية، ماجستير في علوم اللسان العربي، جامعة بسكرة، الجزائر، 2009/2008م.

- **المجلات و الدوريات:**

1. المعجم الكبير: مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، حرف الحاء، ج5، ط1، 2000م.

2. اللغة والأدب: ملتقى علم النص، العدد 17، الجزائر العاصمة، 2006م.

3. مجلة الأثر: أشغال الملتقى الدولي تحليل الخطاب، العدد الخامسة.

4. مجلة الوصل: معهد اللغة العربية والأدب العربي، جامعة تلمسان، ع1، جانفي 1994، نظرية المقاصد بين حازم ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، محمد أديوان، جامعة الرباط، كلية الآداب.

فهرس المحتويات

الصفحة

مقدمة ..... أ–د

تمهيد..... 7–19

الفصل الأول: التداولية والأمثال (مفاهيم وأصول)

أولا: مفهوم التداولية 25

ثانيا: نشأة التداولية وتطورها 34

ثالثا: إرهاصات الدراسات التداولية 35

رابعا: نظرية أفعال الكلام 56

خامسا: الأمثال (مفاهيم ومنهج) 66

الفصل الثاني: تداولية أفعال الكلام في أمثال صحيح البخاري

أولا: تصنيف ج. ر. سيرل للأفعال الكلامية 76

1. الإخباريات 80

2. التوجيهات (الأمريات) 104

3. الوعديات (الالتزاميات) 114

4. التعبيريات 125

5. الإعلانيات 136

خلاصة 147

خاتمة 149

قائمة المصادر والمراجع 152